الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ
الرقم: .....

صورة حواضر المشرق من خلال كتابات الرحالة المغاربة

7 –8 هـ /13 –14 م

الحجاز – مصر – الشام أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة:

- هدى بريقل

مقدمة أمام لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. عيساوي محمد الأمين	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
أ.د خلفات مفتاح	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا ومقررا
د. بن مجذوب جمال	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 1438–1439هـ /2017–2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

بعد الشكر والحمد لله سبحانه على نعمته وفضله وبعد الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير إلى الاستاذ المشرف خلفات مفتاح الذي اعطاني من وقته الثمين لقراءة المذكرة ، وإسداء التوجيهات العلمية القيمة وصبره علي ، والذي ذلل لي المصاعب ، ويسر لي المتاعب ، حتى يتم البحث على هذا النحو ، فأسأل الله أن يبارك في علمه وعمله ، وأن يجعله ذخرا للإسلام والمسلمين

والشكر الموصول أيضا إلى الاستاذ لخضر بولطيف عرفانا لما قدمه لي من مساعدة

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لهيئة التدريس في قسم التاريخ لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد بوضياف على ما بذلوه معي من جهد وصبر في التحصيل العلمي المعرفي

وإلى مكتبة الأندلس

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقديم
د.ن	دون نشر
د.م	دون مكان
ص	صفحة
د.ت	دون تاريخ
ح ع2	الحرب العالمية الثانية
ط	طبعة
مر	مراجعة
ج	جزء
مج	مجلد

مقدمة

مقدمة :

عرف العرب في القرنين السابع والثامن هجري فتوحات عدة ،حيث تم فتح بلاد ما وراء النهرين والاندلس، وأسهمت هذه الفتوحات بشكل كبير في تطور البلاد حيث اختلطت الشعوب ببعضها ،مما أدى إلى النشأة المدنية وازدهارها بشكل كبير. فكل هذا التطور والازدهار من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات .

وقد ساهمت هذه الأخيرة بشكل كبير في نشر الثقافات وتبادل شتى العلوم. فكان للرحالة المغاربة دورا كبير في تناول هذه الثقافات .كما قاموا بوصف وتدوين مشاهداتهم أثناء مسيرة رحلاتهم ،و كشفوا عن العديد من أوجه الحياة في البلاد التي رحلوا إليها من المغرب وحتى المشرق الإسلامي، وقد تباينت دوافع هذه الرحلات فبعض الرحالة كانت رحلتهم بدافع الحج ، والبعض الأخر لطلب العلم ،والبعض من أجل التجارة، كما لا نغفل جانب الاستكشاف الذي يعد هو الأخر دافعا لهذه الرحلات .وقد تضمنت رحلاتهم معلومات وحقائق هامة. حيث دونوا كل ما شاهدوه عبر الطرق ووصفوا أماكن استراحتهم، وكذا ما شاهدوه عند دخولهم للبلدان والأسواق والمساجد والزوايا التي تحوي قبور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم. كما أنهم وصفوا أشهر المنشأت العمرانية التي تشتهر بها البلاد، والأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد بدقة. فقد سجلوا كل هذا من خلال رؤيتهم الشخصية، ومعايشتهم لأهل البلاد التي رحلوا إليها. كما سجلوا مظاهر الحياة الاجتماعية عند مختلف العناصر السكانية التي تعمر البلاد، وقد نقدوا بعض الجوانب الأخلاقية والسلوكية لأهل البلاد، حيث ذكروا عاداتهم وزيارتهم للقبور وانتشار التصوف، كما وصفوا الحياة الاقتصادية من تجارة وزراعة ومنشأت عمرانية.

وتعتبر هذه الرحلات مصادر مساعدة لكتابة التاريخ، حيث قدمت لنا وصفا عن كل ما شاهده الرحالة من مظاهر حضارية وثقافية وعمرانية واجتماعية واقتصادية ،حيث

تحتوي معلومات دقيقة لا نجدها في كتب المؤرخين ومن هنا جاءت أهمية الموضوع الذي يهتم بدراسة صورة حواضر المشرق من خلال كتابات الرحالة المغاربة.

أسباب اختيار الموضوع:

ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب منها الذاتية والموضوعية يمكن إيجازها فيما يلي:

الأسباب الذاتية:

كان بتوجيه من الأستاذ المشرف ورغبتي في كشف الظواهر الحضارية التي كانت سائدة في هذه الفترة. وأيضا التعرف على أهم الرحالة ،ومعرفة ما احتوته رحلتهم.

الأسباب الموضوعية :

– أن كتابات الرحالة تعتبر مصدر من المصادر التاريخية المهمة، التي قدمت لنا معلومات دقيقة من خلال وصف البلاد.

– ازدهار الحياة في الحواضر المشرقية خلال القرن(8 هـ – 14 م) كان شاملا لكل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ،وعلى وجه الخصوص الأحوال الثقافية العلمية.

إشكالية الموضوع:

– كيف ساهمت الرحلات في إعطاء صورة عن حواضر المشرق؟

– وما هو دور الرحالة في إبراز مكانتها ؟

– كيف كانت الحياة المعيشية آنذاك؟

وقد اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي واتبعنا ألية الوصف الذي استخدمناه .

خطة الموضوع:

ومن أجل الإحاطة بالموضوع ووفقا لما تحصلنا عليه من مادة علمية قسمنا موضوعنا إلى مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة :فقد احتوت على أهمية الموضوع ،وأسباب اختياري للموضوع ،وعرض المصادر والمراجع التي خدمت وأفادت البحث.

الفصل الأول: تحدثنا فيه عن بلاد الحجاز من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين -13-14-م.وقسمناه إلى ثلاث مباحث فا**لمبحث الأول:** كان تحت عنوان الأحوال السياسية للحجاز من خلال الرحالة المغاربة أما **المبحث الثاني:** فعنون بالأحوال الاجتماعية والثقافية . أما بالنسبة **للمبحث الثالث:** فكان تحت الأحوال الاقتصادية

أما **بالنسبة للفصل الثاني** : فتناولنا بلاد مصر من خلال الرحالة المغاربة وقد قسمناه هو الأخر إلى ثلاث مباحث. **فالمبحث الأول:** عنوناه بالحياة السياسية و**المبحث الثاني:** بالأحوال الاجتماعية والعلمية أما **المبحث الثالث:** كان تحت الحياة الاقتصادية لمصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة

أما **الفصل الثالث:** كان عنوانه بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة المغاربة وفيه ثلاث مباحث :**فالمبحث الأول:** الحياة السياسية لبلاد الشام خلال عصر المماليك و**المبحث الثاني:** الأحوال الاجتماعية والثقافية أما **المبحث الثالث:** فكان تحت الحياة الاقتصادية لشام.

وختمنا الموضوع بخاتمة حاولنا من خلالها حوصلة ما جاء في المتن واستخلاص اهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للموضوع ،بالإضافة إلى اعتمادنا على بعض الملاحق وذلك بهدف دعم وإثراء الموضوع .

مصادر ومراجع الموضوع:

أثناء انجازنا لهذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، والموسوعات وكذا المجلات من أهمها كتاب الرحلة لابن جبير، والذي اعتمدنا عليه في الجانب السياسي لبلاد الحجاز وكذا أعمال السلطان صلاح الدين، والرحلة المغربية للعبدري والذي قد استعملناها في الحديث عن الجانب العلمي ، وكذا ملء العيبة لصاحبه ابن رشيد والذي قد تناولناه هو الأخر في الجانب العلمي وكل ما يخص العلماء والمدارس. اضافة إلى رحلة القلصادي والبلوي في تاج المفرق والذي اعتمدنا عليهم في الحديث عن بلاد الشام ومصر، كما قد اعتمدنا على بعض المصادر المشرقية وذلك لحاجتنا بها وكذا للتعمق في موضوعنا، كالمقريزي الذي أمدنا بمعلومات عن الحياة السياسية في بلاد مصر وأبو الفداء الذي ساعدنا على تفسير وشرح بعض المصطلحات العويصة في المتن. أما المراجع فقد اعتمدنا على حسين مؤنس في كتابه ابن بطوطة ورحلاته، وقد أفادنا في وصف الأماكن الذي قام بزيارتها ابن بطوطة. كما اعتمدنا على حسين محمد فهيم في كتابه أدب الرحلات الذي نقل عن ابن جبير وغيره من الرحالة المغاربة و الذي تكلم عن ثقافة حواضر المشرق من خلال الرحالة المغاربة. اضافة إلى مرجع الرحالة المسلمون في العصور الوسطى لزكي محمد حسن والذي استعملناه في الحديث عن سياسة الحجاز في نظر المغاربة أما الموسوعات فقد اعتمدنا على موسوعة المدن العربية ليحي الشامي وقد استعملناه في إحالة بعض المدن وإبراز مكانتها ، وموسوعة ألف مدينة عربية لعبد الحكيم العفيفي استعملناها لمعرفة بعض الأماكن.

الصعوبات:

أما عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداد هذه الدراسة ، فهي ناتجة أساسا عن طبيعة الموضوع ومدة إنجازه نذكر منها:

قصر المدة الزمنية المخصصة لإعداد هذه المذكرة لان البحث العلمي يتطلب وقتا أكثر للإحاطة بالمادة العلمية .وكذلك بسبب ضعف المادة العلمية مما اضطرنا على الاعتماد على مصادر مشرقية وذلك للتعمق وكشف بعض العلوم المستور عنها.

الفصل الأول:

الحجاز من خلال كتابات الرحالة المغاربة.

المبحث الاول :الاحوال السياسية من خلال كتب الرحالة.

المبحث الثاني :الاحوال الاجتماعية والثقافية لبلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة.

المبحث الثالث: الاحوال الاقتصادية للحجاز.

المبحث الأول : الأحوال السياسية

الحجاز حاجز بين اليمن والشام وهو مسيرة شهر، قاعدتها مكة ، حرسها الله تعالى[1]. ويقال انه بين الغور والشام وبين نجدان والسراة. وهو أعظم جبال العرب [2] و يذكر أنها بلاد عظيمة حارة [3] وقد كانت إحدى الأقاليم التابعة للخلافة العباسية في فترة قوتها، وقد قام بزيارتها الكثير من الرحالة المغاربة أمثال ابن جبير والعبدري والبلوى و غيرهم لأداء فريضة الحج.

فنلاحظ ابن جبير (ت1217/614) الذي مكث فيها ثمانية أشهر، يصف الأماكن المقدسة ومشاعر الحج وصفا دقيقا، كما تكلم عن سياستهم و فرضهم المكوس على الحجيج في قوله "أن أهل مكة عامة كانوا يعتبرون الحجاج من أعظم غلاتهم التي يستغلونها وينتهبونها انتهابا"[4] و يذكر انه تزامن مع السلطان صلاح الدين الأيوبي وكذا مكثر بن عيسى أميرا لمكة.[5]

كما يشير ابن جبير إلى أن سياسة الحجاز كانت تابعة للدولة العباسية وذلك من خلال التزام الخليفة العباسي بإرسال كسوة الكعبة وكل ما يتعلق بالخطباء والمؤذنين [6].

---

[1]- القزويني زكرياء بن محمود : آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت، ص84.

[2]- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس،ط2 ،مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص188.

[3]- مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ط1، تح يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999، ص124.

[4]- ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد : رحلة ابن جبير، دار صادر ، بيروت، ص54.

[5] - مكثر بن عيسى بن فليته بن محمد بن جعفر الحسني المكي كانت ولايته لمكة سنين عدة انتهت أسرة الهواشم به و بدأت ولايته سنة 1175/571 و هو من كان يفرض المكوس و كذا قام ببناء حصن على جبل قبيس ينظر الفاسي تقي الدين محمد بن احمد الحسني: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج7، ط2، تحـ فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص274-279.

[6] - ابن جبير : المصدر السابق، ص52.

ويذكر انه تعاقب على حكم مكة و توابعها ثلاث أسر من الأشراف من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهم. و هم السليمانيون و الهواشم ثم بني قتادة ،[1] و يشير إلى أن الأسرة الثانية ،وهي أسرة الهواشم ابتدأت من محمد بن جعفر (ت 484 /1094)[2]، و انتهت بمكثر بن عيسى سابق الذكر. و الذي كما قلنا انه عاصر ابن جبير في رحلته و قد وصفه ابن جبير بأنه عامل غير صالح، و ذلك لما كان يفرضه من مكوس وضرائب على الحجاج [3] ، إضافة إلى ذلك نجد العبدري ،الذي وصف سياستهم في رحلته بالجفاء وقلة ارتباطهم بالدين والشرع ،و أنهم يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين [4].

وحسب التقارير التاريخية يتضح لنا أن العبدري لم يعاصر السلطان صلاح الدين الأيوبي كما ذكرنا سابقا وقد أشاد به، ووصفه بالسلطان العادل، فقد خلصهم من المكوس والظلم القاهر الذي فرضه عليهم أمير مكة مكثر بن عيسى في قوله "فالحجاج معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييسر الله رجوعه إلى وطنه، و لولا ما تلاقى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ولا يلين شديده، فانه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلهما إلى مكثر أمير مكة"[5] .

[1] - ابن خلدون عبد الرحمان : تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان ، 2006، ص 126-134.

[2]- محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد حتى يصل نسبه علي بن أبي طالب الحسني المكي ، أبو هاشم أمير مكة و هو صهر شكر بن أبي الفتوح تولى الإمارة و قطع خطبة الفاطميين و أعادها للعباسيين و لم يستمر إلى أن أعادها للفاطميين يذكر انه كان ظالما توفي سنة (484 هـ/1094م) ينظر الفاسي : العقد الثمين، ج1، ط2، تح محمد حامد الفيقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص439-444.

[3]- ابن جبير: مصدر سابق، ص55.

[4]- الكردي علي إبراهيم: أدب الرحل في المغرب و الأندلس نقلا عن العبدري، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013، ص137.

[5]- ابن جبير : مصدر سابق، ص54.

ومن المؤسف أن باقي الرحالة رغم قيامهم برحلات إلى الحجاز إلا أنهم لم يقدموا أي شيء على الحالة السياسية سوى ابن جبير سابق الذكر، وابن بطوطة الذي عاصر زمن السلطان الناصر وقد وصفه بخادم الشريفين [1] و الرحالة البلوي هو الأخر عاصر زمن السلطان الناصر فقد وصفه بناصر الدين و الدنيا.[2]

[1]- ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، مج1، تقـ و تح عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية،1997 ،ص344.

[2]- البلوي خالد بن عيسى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، تح الحسن السائح، مطبعة الفضالة، المغرب، ص 216.

المبحث الثاني : الأحوال الاجتماعية لبلاد الحجاز

حسب ما وصفه الرحالة الجغرافيون أن الحجاز عرفت إرتسامات اجتماعية تمثلت في ساكنة مكة والتي ضمت العديد من الأجناس نظرا لمكانتها في نفوس المسلمين من شتى بقاع الأرض وأهم عنصر عرف في مكة :

*آل بيت الرسول صل الله عليه و سلم من ذرية الحسن بن علي و هم السليمانيون، و بنو هاشم و بنو قتادة.[1] وهم من سكان مكة الأوائل و تفرقوا في الشام والعراق ومنهم في الطائف وجدة ونواحيها [2] ، ومنهم من غادر الحجاز إثر ثورات العلويين[3] وجدة والطائف هم من الأماكن و القبائل المجاورة لمكة، فمدينة جدة عريقة على الساحل الشرقي وهي الميناء الرئيسي للحجاز الذي يستخدم منذ القدم لعبور الحجاز [4]، والطائف أيضا من المدن المجاورة لمكة ، وهي مدينة عربية قديمة، سميت بالطائف من الطواف [5] ، أما المدينة المنورة فمن سكانها آل البيت، وسكانها الأصليين الأوس والخزرج ،وشكل المجاورون نسبة كبيرة من السكان في المدينتين المقدسيتين وضم شتى بقاع العالم ومن القبائل المجاورة لبلاد الحجاز اليمن والتي تنقسم إلى قسمين : تهامة عسير والحجاز، ونجد واليمن، ومن أهم ثغورها من الواقعة على البحر الأحمر، وعدن الواقعة على المحيط الهندي، وحضرموت تقع شرقي اليمن ، كما يمكننا ذكر منطقة عيذاب التي ذكرها ابن جبير في رحلته بأنهم من قبيل السودان

[1]- ابن خلدون :المصدر السابق، ج4، ص 126.
2- ابن جبير: المصدر السابق، ص162.
3 - ابن خلدون: العبر، ج4، ص99.
4 - العفيفي عبد الحكيم : موسوعة ألف مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2000، ص 187.
[5]- يحيى الشامي : موسوعة المدن العربية الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ص 38.

يعرفون بالبُجاة، و لهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها. و قد وصفهم بفرقة أضل من الأنعام و أقل عقولا، و لا دين لهم سوى كلمة التوحيد [1].

الأعراب : و هم فئة احترف بعضهم السرقة و الإعتداء على الحجاج و سلب أموالهم، و قد وصل خطرهم إلى بلاد الحجاز. و هم حسب وصف العبدري (ت 1325/725) قطاع طرق و لصوص قوافل دفعت بهم الحاجة إلى احتراف السرقة و عمليات السطو[2]. و قد ذكر ابن رشيد (ت721هـ /1321 م) في رحلته ملئ الغيبة انه ترك المبيت بمنى وقت أدائه فريضة الحج خوفا على حياته منهم ، و ذلك لانتشار أعراب بنو شعبة في مكة و اعتدائهم على الحجيج بالسلب و القتل [3].

وقد أشار البلوي في تاج المفرق إلى عدم توفر الأمن و الأمان للأعراب عند وصولهم إلى الأراضي المقدسة [4]، و وصفهم ابن جبير بأنهم شيع لا دين لها، تستغل الحجاج و تنهبهم نهبا [5].

العبيد : حسب ابن بطوطة فهم متواجدون بكثرة في المساجد، لأنهم مكلفون بتنظيفه.[6]، و يجلبون من أماكن متفرقة مثل الحبشة و النوبة و الديلة. و استخدموا كعبيد و خدم في المنازل و المساجد[7].

---

[1]- ابن جبير : مصدر سابق، ص 48.

[2] - العبدري محمد، البلنسي : الرحلة المغربية، ط2، تق سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات، عنابة، 2007، ص201.

[3]- ابن رشيد أبي عبد الله محمد بن عمر العبدري السبتي : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة،ج5،ط1، تق.تح .محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص87.

[4]- البلوي خالد بن عيسى : المصدر السابق، ج1، ص279.

[5]- ابن جبير: المصدر السابق، ص54.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص357.

[7]- ابن خلدون: العبر، ج4، ص99.

الأسر الحاكمة :

يشير ابن جبير في رحلته إلى حاكم مكة المكرمة الأمير مكثر بن عيسى و قد ذكرناه سابقا، وهو من الأشراف من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنه.[1] كما يذكر العبدري في رحلته وحسب ما تطرقت إليه بعض المراجع ان هذه الطبقة تشتمل على أمراء اعتمد عليهم الشريف في إدارة القرى والمناطق التابعة لمكة المكرمة، و يذكر ابن بطوطة في رحلته أميري مكة، وهما من بني قتادة، الإخوان أسد الدين رميثة و سيف الدين عطيفة [2] ابن أبي نُمي أبي سعيد بن علي قتادة الحسني.[3]

وقد أشار ابن رشيد في رحلته إلى هذه الأسرة الشريفة أبي محمد بن أبي نمي سعد الحسني، و يصفها بالهيبة و قوة الشخصية.[4]

وقد أشار ابن بطوطة إلى حكام المدينة في عصره، فذكر كبيش ابن منصور بن جماز.[5]

أسرة القادة :

حسب وصف الرحالة والجغرافيين أن القادة هم الحاشية التي تتبع الأمير، وتكون معه وهي مجموعة من القراء يختارها أكابر الأشراف. وقد وصفها ابن جبير عند خروجهم مع

---

[1]- ابن جبير : مصدر سابق، ص 100.

[2]- عطيفة ابن أبي نمي بن محمد بن أبي سعيد حسن بن علي بن أبي قتادة الحسني المكي يلقب سيف الجدين، أمير مكة ولي إمرتها نحو 15 سنة مستقلا بها، و يذكر أن السلطان الناصر بن قلاوون ولاه إمرة مكة توفي 734، ينظر الفاسي : العقد الثمين، ج6، ص95-101.

[3]- حسين مؤنس : ابن بطوطة و رحلاته، دار المعارف، القاهرة، ص69.

[4]- ابن رشيد : مصدر سابق، ج5، ص96-100.

[5]- كبيش بن منصور ابن جماز يذكر انه قتل عمه و توضأ بدمه ولي الإمارة استقلالا شهر رمضان 1325/727، قتل في رجب (1328/728). ينظر ابن بطوطة: مصدر سابق، ص 360.

الأمير للطواف في قوله: "و في صبيحة الليلة المذكورة و أوفى الأمير مكثر بإتباعه و أشياعه، على العادة السالفة المذكورة في الشهر الأول، و على ذلك الرسم بعينه، و الزمزمي المغرد بثنائه و الدعاء له فوق قبة زمزم، يرفع عقيرته بالدعاء و الثناء عند كل شوط يطوفه الأمير و القراء أمامه، إلى أن فرغ من طوافه، و اخذ في طريق انصرافه".[1]

أسرة العلماء :

حسب ما أورده كبار الرحالة في تقاريرهم أن طبقة العلماء، حظيت بأهمية كبيرة لدى الناس. وقد ذكرها ابن رشيد في رحلته بان بلاد الحجاز حظيت بزيارة احتكوا بالعلماء و اخذ منهم الإجازات ، فقد قام بزيارة الشيخة أم الخير فاطمة بنت إبراهيم في قوله: "قرأت على الشيخة الصالحة أم الخير ام محمد فاطمة" [2]ويذكرانه استفتاها في بعض أموره. ويذكر أن العبدري قام بزيارتهم إلى بيوتهم ويتضح ذلك في رحلته فحديثه عن العلماء ولقياه بهم.[3]

القضاة:

حسب تقرير ابن جبير في رحلته فقد ألحقهم بطبقة، العلماء لأنهم يختارون منهم ويقومون بتنفيذ الأحكام الدينية على سائر الناس، ويقول بأن الحجاز تحتوي على العديد من القضاة لجميع المذاهب، فكل طائفة لها أمامها.[4] كما قد أشار ابن بطوطة إلى وجود قاض

[1]- ابن جبير: مصدر سابق، ص 101.

[2]- هي الشيخة الصالحة الكاتبة ام الخير ام محمد فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي رضي الله عنها قدمت في ركب الشام حاجة لقيها ابن رشيد في مسجد النبي صل الله عليه و سلم و قرئ عليها و يذكر انه كتبت له بخطها و أجازته في جميع مروياتها. ينظر ابن رشيد: مصدر سابق، ج5، ص 21.

[3]- سعيد إبراهيم احمد : الحجاز في نظر الاندلسين والمغاربة، ط1، تح إبراهيم احمد سعيد، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2004، ص159.

[4]- ابن جبير: مصدر سابق ، ص78.

مالكي في المدينة المنورة.[1] ويذكر انه الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفقيه أبي زيد عبد الرحمان المشتهر بخليل واصله من بلاد الجريد وهو في أيام ابن بطوطة إمام وقاضي مالكي.[2]

الألبسة والأطعمة والأشربة :

ولعل من الإشارات التي خططت لها كتب الرحلة وصف الألبسة والأطعمة .فقد وصفهم ابن بطوطة بنظافة الملبس والتطيب في قوله:"ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف، وهن يكثرن التطيب حتى إن إحداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيبا ! وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة فيأتين في أحسن زي، وتغلب على الحرم رائعة طيبهن، وتذهب المرأة منهن فيبقى اثر الطيب بعد ذهابها عبقا"[3].

ويذكرهم ابن جبير في حرسهم على لباسهم النظيف الحسن ، وذكر لباس أمير مكة لباس ابيض اللون وعمامة صوف بيضاء.[4]

[1]- ابن بطوطة : المصدر سابق ص356

[2]- حسين مؤنس: مرجع سابق، ص69-70.

[3]- ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص387.

[4]- ابن جبير: المصدر السابق، ص74، 75.

الأطعمة والأشربة :

قدمت كتب الرحلة لائحة بأنواع الأطعمة والأشربة، وذلك من خلال ما ذكره ابن جبير الذي وصف خيرات مكة، في قوله: "مكة ملتقى الصادر والوارد ممن تلفته الدعوة المباركة، والثمرات تجبى إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعما وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر[1] ".

ويذكر أن ابن جبير قارن بين خيرات مكة وماهو موجود بالأندلس و ورد قوله في: "وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم والفواكه: كالتين ، العنب، الرمان، السفرجل، الخوخ ، الاترج والجوز والمقل، البطيخ والقثاء، والخيار إلى جميع البقول كلها: كالباذنجان واليقطين والتسلجم والجزر والكرنب إلى سائرها، إلى غير ذلك من الرياحين العبقة والمشمومات العطرة، وأكثر هذه البقول كالباذنجان والقثاء والبطيخ لا يكاد ينقطع مع طول العام، [2]

وقد تحدث ابن بطوطة عن خيرات مكة في قوله:" إن الله سبحانه وتعالى شاء أن تكون مكة بواد غير ذي زرع ، ولكنه ساق إليها الخيرات من كل صوب، فكل طرفة تجلب إليها، وثمرات كل شيء تجبى لها، ولقد أكلت بها من الفواكه : العنب والتين والخوخ الطيب والرطب ما لا نظير له في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يمثله سواه طيبا وحلاوة، واللحوم بها سخان لذيذات الطعوم ، وكل ما يفترق في البلاد من السلع فيها

[1]- فهيم حسين محمد : أدب الرحلات نقلا عن ابن جبير ، عالم المعرفة للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1989،ص130.
[2] - ابن جبير: مصدر سابق، ص97.

اجتماعه، وتجلب له الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن ملطفا من الله بسكان حرمه الأمين و مجاوري بيته العتيق"[1].

وقد أشار ابن جبير إلى أن خيرات وبركات مكة تعود للدعوة الإبراهيمية وذلك أن الله عز وجل يقول حاكيا عن خليله ، عليه السلام ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[2]وقوله عز وجل ﴿أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء.﴾[3]

وأما أنواع الأشربة فحسب ما يصفهم ابن جبير فإنهم اشتهروا بأنواع الألبان، والعسل كما تكلم على الزبيب الأسود والأحمر، الذي كان يجلب من اليمن. وكذا اللوز والسكر كل النعم والطيبات في هاته الأرض المباركة.[4]

العادات والتقاليد:

تحدث ابن جبير في رحلته عن عادات أهل الحجاز في قوله :أن أكثر أهل الحجاز اشتهروا بنكاحهم جواري الحبشيات ولم يكن هذا الأمر على العامة .فقط بل شمل كل الطبقات[5] ويذكر ابن رشيد في كتابه انه من عاداتهم أيضا استقبال الحجاج وإقامة الولائم كل حسب ماديته، كما يرسلون أطفالهم لمساعدة الحجاج وإرسالهم إلى الطريق الصحيح[6] كما أشار ابن جبير إلى الاحتفالات كان يقوم بها أهل الحجاز في بداية الشهور الهجرية. بداية

[1] -حسين مؤنس : مرجع سابق، ص69.
[2]- سورة إبراهيم : الآية 37
[3] -سورة القصص: الآية 57
[4]- ابن جبير: المصدر السابق ص 98
[5]- ابن جبير : المصدر نفسه، ص52
[6] - ابن رشيد : المصدر نفسه ، ص129.

شهر جمادى فقد تكلم ابن جبير عن عادات الحجاز واحتفالاتهم ووصفهم وصفا دقيقا. أكثر مما وصفه باقي الرحالة ،وذلك لما قلنا سابقا بالرغم من زيارتهم إلا أنهم لم يقدموا مثلما قدم الرحالة ابن جبير فيتكلم عن هذا الشهر في قوله: "ولأهل هذه الجهات المشرقية كلها سيرة حسنة عنه مستعمل كل شهر من شهور العام يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضا ويتغافرون ويدعو بعضهم لبعض ويذكر أن في شهر جمادى يخرج الأمير مكثر بأتباعه للطواف والقراء أمامه ومفردين بالدعاء والثناء له فوق قبة زمزم"[1] كما أشار إلى شهر رجب وللنساء احتفال خاص في التاسع والعشرين من رجب يجتمعن من كل أوب مستعدات لهذا اليوم العظيم، فيفتح الشيبيون الباب لهن ويسرعون بالخروج ويترك الرجال لهن الطواف .فتبادر النساء مهلهلات مكبرات وينقضي الوقت المخصص لهن إلى قرب الظهر.[2]

كما وصف ليلة النصف من شعبان في قوله:" من أعظم الليالي عندهم فيبادرون إلى أعمال البر من العمرة والطواف والصلاة أفرادا وجماعة ويقرأون فيها بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ويوقدون المصابيح حتى تكون ليلة لا يتخيلها متخيل ولا توهمه متوهم"[3] ومن عاداتهم يذكر ابن رشيد في رحلته عادة وقد الشموع في جبل عرفة في قوله: "ورأينا تلك الليلة عجبا فيما ابتدعته العامة من الاستعداد والاحتفال بوقد الشموع بالجبل القائم بوسط عرفات(...) وهو يتأجج نارا بالشموع وإذا نظرت إليه عن بعد تراه كشعلة واحدة"[4].

كما كان لهم احتفال في شهر ذي الحجة وذلك بمنى يحتفلون بتلاوة الفرمان السلطاني، ويجتمع في هذا الاحتفال كل من أمير المحملين الشامي والمصري، والضباط

[1]- ابن جبير: المصدر السابق: ص101-106.
[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص399.
[3]- ابن رشيد: المصدر السابق، ص132
[4]- ابن جبير: المصدر السابق، ص119.

وكبار رجال البلاد كما تنتشر جموع الحجيج مختلفي الأجناس حول هذا الحفل، ويتقدم الحرس على جواد حامل الفرمان السلطاني وهكذا. [1]

وقد تحدث كل من ابن جبير وابن بطوطة عن عاداتهم في شهر رمضان ففي قول ابن بطوطة: "وإذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة ،ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر، وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلألأ المسجد الحرام نورا، ويسطع بهجة وإشراقا ، وتتفرق الأئمة فرقا، وهم الشافعية، والحنفية، الحنبلية، والزيدية، وأما المالكية فيجتمعون على أربعة من القراء: يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلي بجماعته فيرتج المسجد لأصوات القراء وترق النفوس وتحضر القلوب وتهمل الأعين"[2]. أما ابن جبير فقد وصفه وصفا دقيقا في قوله: "ووقع الإيذان بالصوم بضرب دبادبة ليلة المذكور (..) ووقع الاحتفال في المسجد الحرام لهذا الشهر المبارك، وحق ذلك من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعيل.."[3]

الحياة الثقافية :

لاشك أن مكة المكرمة والمدينة المنورة هما مبدأ الحركة العلمية ومنتهاها ، وذلك بسبب الرحلات السنوية لأداء فريضة الحج، وهذه ميزة تميزت بها عن باقي الأقطار الإسلامية والعالمية، فهي ملتقى العلماء وتبادل العلم ونقله إلى مختلف الدول، وقد كانت مكة من أبرز مراكز العلم. منها:

[1]- إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، ج1، ط1، مطبعة الكتب العصرية، القاهرة ، 1925، ص49 .

[2]- ابن بطوطة: مصدر سابق، ص402-403.

[3]- ابن جبير : مصدر سابق، ص122.

المسجد الحرام :هو أعظم المراكز العلمية بالحجاز، محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم، في قول ابن جبير "انه غاض بحلقات الدرس"[1] ويصفه ابن بطوطة انه كان يحتوي على حنايا يجلس بها المقرئون و المدرسون .[2] ويذكر أن التعليم في المسجد الحرام لم يكن وفق منهج محدد بل متروكا لكل عالم في تدريس المفيد والصالح من العلم.

وقد وصف البلوي المسجد على أنه يحتوي على قبتان مخزنان لأوقاف البيت الكريم من مصاحف وكتب[3].

ويشير ابن رشيد بمظاهر الحياة الفكرية بالحرم المكي في قوله" أنه لا يغادر عالم ولا طالب علم إلى موطنه إلا كان حاملا معه علما أو إجازة حاصلا عليها من المسجد الحرام ، وأن هذا المسجد عرف بتنوع حلقات العلم من سماع أحاديث وشعر وتفسير وسير "[4] .

وما يؤكد أن المسجد الحرام من أبرز المراكز العلمية تواجد الكتب وتوفرها فيه، ما أشار إليه ابن جبير، ابن بطوطة ، والبلوي.[5]

المسجد النبوي :

يأتي المسجد النبوي مركزا ثانيا من المراكز العليمة بالحجاز وإن لم يصل في وضعه العلمي إلى مرتبه المسجد الحرام، وأثار الأمر انتباه ابن جبير فأشار إلى الشيعة بالمسجد النبوي ووصفهم "بأنهم على مذهب غير مرضي"[6] ويشير البلوي إلى أن المسجد النبوي

[1]- ابن جبير: مصدر سابق ، ص68.
[2]- ابن بطوطة : مصدر سابق، ص371.
[3]- البلوي: مصدر سابق، ج1، ص306.
[4] - ابن رشيد: مصدر سابق ، ج5، ص169
[5]- ابن جبير : مصدر سابق ، ص80 ؛ ابن بطوطة :مصدر سابق، ص370؛ البلوي: مصدر سابق، ص206.
[6]- ابن جبير : مصدر سابق، ص179.

يحتوي على خزانتان كبيرتان تحتوي على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد [1] كما قد أشار إلى ذلك ابن جبير .[2]

المدارس العلمية :

سارت المدارس بمكة المكرمة إلى جانب المسجد الحرام وقد لعبت دورا كبيرا في نشر العلم وإن كانت متأخرة الظهور، الرحالة بعضهم عن قدومهم إلى مكة.

المدرسة المظفرية (641هـ/1243) : بناها ملك اليمن المنصور المظفر نور الدين عمر بن رسول ، وأوقفها على أتباع المذهب الشافعي.[3]

وقد أشار إليها ابن رُشيد إلا أنه نسبها لأحد حفدة الفقيه محب الدين الطبري، [4] وربما يعود سبب نسبتها إليه أنه القائم عليها، [5] إلا أن ابن بطوطة يشير أن من بنى هاته المدرسة هو والد السلطان يوسف بن رسول، وأنه يعود سبب ذلك لأنه أضاف إليها بعض التعديلات. وهو من كان يكسو الكعبة إلى أن غلبه على ذلك الملك المنصور[6] .

مدرسة الملك المجاهد : مدرسة شافعية نسبة إلى الملك العباس ابن المجاهد صاحب اليمن بناها بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ،تردد عليها الفقهاء الشافعية، وقفت سنه (770هـ/1373). وابتدئ التدريس بها، وفي محرم سنة (739هـ/1342) درست بها المالكية

[1]- البلوي: مصدر سابق ، ج1.ص287.
[2]- ابن جبير : مصدر سابق، ص171.
[3]- الفاسي: العقد الثمين، ص132
[4]- المحب الدين الطبري : الشيخ الفقيه المحدث الإمام المنصف العالم العامل فقيه الحرم الشريف محل الدين أبو العباس وأبو محمد احمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي رضي الله عنه ونفع به وبأمثاله، وهو أحد العلماء الفضلاء، ينظر ابن رشيد : المصدر السابق ، ج5، ص233.
[5]- العبدري : مصدر سابق، ص174.
[6]- ابن بطوطة : مصدر سابق، ص378.

وانحدر منها عدد كبير من مدارس آخرى.[1] ويشير ابن رشيد أن الرحالة المغاربة حرصوا على طلب العلم بالمسجد وليس بالمدارس المنتشرة بمكة . كما قد أشار ابن بطوطة إلى ذلك أيضا. [2]

المدينة المنورة :

من خلال ما اتضح من مشاهدات الرحالة وتقاريرهم أن المدينة المنورة لا تحتوي على مدرسة ولا زاوية سوى المسجد النبوي إلا أن البلوي أشار إلى وجود مدرسة أخرى تقع مقابل باب الرحمة ولم يذكر اسمها .[3] وحسب شهادة العبدري فإن بعضهم كان يتردد على بعض بيوت العلماء لأخذ عنهم شيء فنون المعرفة،[4] كما يشير ابن رشيد إلى أنه تلقى العلوم بالمساجد وكان يزور العلماء في بيوتهم لأجازته [5].

- ومن العلماء الذين احتك بهم الرحالة المغاربة

عمر عبد المجيد الميانشي : يذكره الفاسي في كتابه وهو عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين القرشي العبدري تقي الدين أبو حفص المعروف بالميانشى نزيل مكة وعالمها تلقى العلم على كبار العلماء وسمع منهم ، له عدة مؤلفات تميز بسعة العلم والورع والثقة . (ت581/1489م)

[1]- الفاسي : العقد الثمين ، ج1 ، ص117-118.
[2]- ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص380.
[3] - الفاسي : العقد الثمين ، ج6 ، 334، 335
[4] - الفاسي : العقد الثمين ، ج1، ص415، 416
[5]- ابن جبير: مصدر سابق ، ص 110.

ابن أبي الصيف الفقيه : محمد بن إسماعيل بن علي اليمني تقي الدين ابو عبد الله المعروف بابن أبي الضيف الشافعي فقيه مكة ، حدث ودرس وأفتى(ت609/1212م) ولم يذكر ابن جبير معلومات ويتضح انه عالما كبير ودليل ذلك جوابه على سؤال ابن جبير في السر واليمنيين.[1]

المبحث الثالث : الأحوال الاقتصادية

يتضح مما ذكرته المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية أن بلاد الحجاز عرفت حياة اقتصادية، وذلك من إشاراتهم للصناعة والتجارة والزراعة، إلا أنها لم تحض بعناية المؤرخين كالحياة السياسية التي اهتموا بها أكثر ، فالزراعة تحدث عنها بابن جبير بذكره الآبار المتوفرة في القرين ومكة وفي باطن مر وخُليص وبدر، وينتج عن هذه الآثار الاستفادة في المجلات الزراعية كالبساتين المنتشرة في منطقة المسفلة المزروعة بالنخيل والرومان والعنب والحناء[2].

ويذكر ابن بطوطة أنها توجد أراضي زراعية في بطن مر و آدم.[3]

أما العبدري فيذكر أن هناك مناطق زراعية في ينبع وقباء.[4]

وتميزت الحجاز وهي بلدة مباركة ، وقد سبقت لأهلها الدعوة الإبراهيمية وذلك لقوله تعالي:" فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون"[5]، ودليل هذا

[1] الفاسي : العقد الثمين ، ج1، ص417
[2] - ابن جبير : مصدر سابق، ص88،89-93.
[3] - ابن بطوطة : مصدر سابق، ص332.
[4] - العبدري: مصدر سابق، ص163.
[5] - سورة إبراهيم: الآية 37.

أنها ملتقى الصادر والوارد ، بحيث يأتيها من المناطق النائية، وتتوفر فيها الأرزاق والفواكه كالتين، العنب، الرمان والسفرجل..[1]

كما عرفت الثروة الحيوانية والتي تمثلت في الضأن والماعز والبقر والجِمال التي استخدمت في نقل الأشخاص والأمتعة.

أما بالنسبة للصناعة فنجد بعض المواد الخام المجلوبة إليها عن طريق التجارة والمبادلات كالجواهر والياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة .[2]

كما يشير ابن بطوطة إلى توفر الفضة، والذهب في مكة ورخص أسعارهما، وقد استخدمت الأولى في تزيين المسجد الحرام، أما بالنسبة للتجارة فقد عرفت بلاد الحجاز إقبال الكثيرون على هذه الحرفة، ويتضح ذلك في قوله تعالي:" أو لم نمكّن لهم حَرَمًا آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شيء"[3]، هاته الآية تشير إلى قدسية المكان والى الأرزاق والخيرات المحمولة إليه من كل حدب وصوب، وتتوفر بالحجاز مراكز تجارية في مكة وينبع والحوراء، وقد عرفت واردات وصادرات عدة، فالواردات تمثلت في حمل الخضار والفواكه من الأودية القريبة إليها مثل وادي نخلة وبطن مر والطائف وآدم، وتُحمل إليها من الهند كل من المسك والكاثور والعنبر والعود والعقاقير، ومن اليمن الزبيب الأسود والأحمر واللوز وقصب السكر[4].

1 - ابن جبير : مصدر سابق، ص 96.
2 - العبدري: مصدر سابق، ص 162.
3 - سورة القصص: الآية 57.
4 - ابن جبير : مصدر سابق، ص 161.

وقد قام السرو[1] بجلب الحنطة واللوبيا والسمن وغيرها، من بلاد العراق والحبشة والمغرب..

أما الصادرات من مكة إلى أهل اليمن تمثلت في الملابس والملاحف والافرشة ويتم ذلك بواسطة المقايضة ، وذلك لعدم استعمالهم النقود في البيع والشراء.

ومن أهم الأسواق التي عرفتها بلاد الحجاز سوق تجاري بين الصفا والمروة، تباع فيه الأطعمة، وسوق البزازين والعطارين والخياطين وسوق العبيد والجواري والمعروف بسوق النخاسة، كما كانت لهم أسواق تقام في موسم الحج كسوق كبير بعرفة، وسوق تباع في الجواهر والأمتعة بمنًى.[2]

1 - السرو: من قبائل العرب لهم قرى كثيرة تصل إلى أكثر من مائتين قرية وهم أهل جبال ، سراة يُنظر إلى سعيد إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص24.

2 - ابن جبير : مصدر سابق، ص 157.

الفصل الثاني :

مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة

المبحث الاول :مظاهر الحياة السياسية لمصر من خلال كتب الرحالة

المبحث الثاني :الاحوال الاجتماعية والثقافية لمصر من خلال الرحالة المغاربة

المبحث الثالث: الأحوال الاقتصادية لمصر من كتابات الرحالة المغاربة

المبحث الأول : مظاهر الحياة السياسية لمصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة

عرفت الأحوال السياسية في مصر خلال القرنين (7 /8هـ /13-14هـ) الكثير من الصراعات في عهد السلاطين المماليك، و تمثلت في صراعات داخلية و خارجية مع الصليبيين أو المغول ، و سنة كل عصور السلاطين و هذا حسب ما قدمه الرحالة الذين عاصروا هؤلاء السلاطين ، و نبرز بعض الأحداث المهمة التي وردت في رحلاتهم حتى و إن كانت محتشمة.

أولا: عصر السلطان الصالح نجم الدين أيوب

لاحظ الرحالة ابن سعيد المغربي الذي دخل مصر سنة (639هـ/1248م) زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب.[1] و غادر عام (644هـ/1246م) إلى حلب التي بقي فيها أربع سنوات إلا انه لم يذكر تفاصيل الحياة السياسية في تلك الفترة ولا حتى إشارة.

ثانيا : عصر المنصور قلاوون

قدم كل من العبدري وابن رشيد (ت 721هـ/1321م) إلى مصر زمن السلطان منصور قلاوون. [2] حيث أشار العبدري إلى إعداد المنصور لحصار عكا و الذي سيتناوله فيما بعد، إلا أن ابن رشيد لم يعطي أي إشارة عن عصر هذا السلطان.

---

[1] -هو نجم الدين أيوب ابن ملك الكامل محمد ، ولد بالقاهرة سنة (603هـ/1206م)، جعله والده نائبا على مصر سنة (625هـ/1227م)، حكم مصر سنة (637هـ/1239م) بعد أن خلع أخيه العادل و اعتقله في قلعة الجبل و ذلك لان أبيه كان يميل لأخيه أكثر منه (ت 684هـ/1249م) في المنصورة أثناء حصاره الفرنجة عليها
ينظر ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر : وفيات الأعيان و أبناء الزمان، ج5، تحـ إحسان عباس، دار صادر، بيروت/ د.ت، ص84-86.

[2]- هو سيف الدين أبو المعالي قلاوون الصالحي، النجمي الألفي، اشتراه الملك نجم الدين أيوب سنة (647هـ/1249م) و بعد موت الملك الصالح ترقى في عهد الظاهر و بايعوه سلطانا عليهم و هزم الصليبيين ففتح المرقب (684هـ/1285م) و في (689هـ/1290م) حاصر عكا و مرض و توفي في نفس المكان و نفس السنة (689هـ/1290م) ينظر يوسف ابن تغري بودي : المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي، ج9، تحـ نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب و الوثائق القومية، القاهرة، 2008، ص 91، 92، 95.

حصار السلطان المنصور قلاوون لعكا :

كما ذكرنا سابقا أن الرحالة العبدري قدم إلى مصر عصر السلطان المنصور و قد تكلم عن خبر وفاته في قوله "وبعد مرحلة من رابغ جاءنا من مصر من اخبر بموت سلطانها الملك المنصور ولهم عن مصر سبعة عشر يوما، وكنا تركنا السلطان على حركة إلى الجهاد عكة، و قد برز جميع عسكره خارج المدينة فلما خرج مرض، فمات من حينه".[1]

إلا أن العبدري لم يذكر لنا تفاصيل حصار السلطان لعكا، ومن خلال بعض الكتب يتضح لنا أن المنصور السلطان، اتبع سياسة التعامل مع خصومه المغول والصليبيين كل على حدى. ولم يكترث للمعاهدات والمصالحات التي يبرمها معهم، فشن سنة 684هـ/1285م هجوما فجائيا على حصن المرقب ، [2] حصن الصليبيين ولم يستطع أهله مقاومة الهجوم، فطلبوا الأمان وسقط الحصن في يد السلطان قلاوون .[3] مما سبب خسارة كبرى للصليبيين ، وبعدها قام بحصار طرابلس سنة (688هـ/1289م). ولم يستطيعوا المقاومة ففر الصليبيون إلى القديس نيقولا، وسقطت طرابلس في أيدي السلطان كذلك ، وهنا لجأ الصليبيون للدفاع بخطة يائسة فرأى قلاوون أن هذه الحركة مبرراً كافيا لإعلان الحرب وحصار عكا، إلا أنه توفي (689هـ/1290م) قبل أن يحقق مشروعه.[4]

---

[1] -العبدري محمد البلنسي : مصدر سابق، ص351.

[2] -المرقب : جنوب اللاذقية و هو حصن من الحصون الصليبية المهمة في بلاد الشام وقع في يد السلطان منصور قلاوون سنة (684هـ/1285م) بعد حصار دام شهرا.
ينظر دعكور عرب : تاريخ الفاطميين و الزنكيين و الأيوبيين و المماليك و حضاراتهم، منتدى صور الأزبكية، بيروت، 2010، ص 312.

[3] -دعكورعرب: مرجع نفسه، ص 372-373.

[4] -المقريزي تقي الدين احمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ط1، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 754

ثالثا : تولي العادل كتبغا الحكم

تولى كتبغا[1] السلطة مباشرة بعد عزل الناصر محمد، و هو من أصل مغولي فجاءت توليته مصحوبة بالوباء ،و انخفاض مياه النيل و كثرة المجاعة و غلاء الأسعار. [2] و حسب ما ذكره المقريزي أن المصريين تشاءموا عند توليه الحكم. حيث جرى على ألسنتهم عبارة واحدة "يا نهار الشؤم، إن هذا نهار النحس"[3] و تذكر بعض المصادر أن فترة حكمه كانت فترة سيئة رغم أنها لم تدم طويلا. و قد تحدث عنها العياشي في رحلته " ( ) ثم دخلنا إلى القاهرة ضحى ( ) و وجدنا الوباء بالقاهرة كما بلغنا، إلا أنه خفيف، يصلي في الجامع الأزهر كل يوم نحو عشرة".[4]

و من المؤسف أن كتب الرحلة لم تشر إلى الأحداث السياسية في عصر هذا السلطان مما استدعتني الحاجة للنظر في مصادر مشرقية للتعمق أكثر.

رابعا : عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون

عاصر السلطان الناصر[5] كل من البلوي و ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م) و قد عرفه ابن بطوطة في قوله : " و كان السلطان مصر على عهد دخولي إليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، و كان قلاوون يعرف بالألفي، بألف

[1] -هو كتبغا بن عبد الله المنصوري، أصله من سبي رقعة حمص سنة (659هـ/1260م) فأخذه الملك المنصور قلاوون و اعتقه و رقاه حتى صار من أكابر أمرائه، تولى حكم مصر سنة (694هـ/1294م) خلعه حسام الدين لاجين سنة (696هـ/1296م) و بعد مقتل لاجين تولى الحكم الناصر ، و أعاده نائبا عن حماة ت سنة (702هـ/1296م) دفن بدمشق حكم مصر سنتين
ينظم ابن تغري بردي : المنهل الصافي، ج9، ص 115-118

[2] -دعكور عرب : مرجع سابق، ص377

[3] -المقريزي : السلوك، ج2، ص 260

[4] -العياشي ابو سالم عبد الله بن محمد : الرحلة العياشية، مج1، ط1، تح سعيد الفاضلي، دار السويدي للنشر و التوزيع، ابوظبي، 2006، ص 227.

[5] -الناصر محمد : أبو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ولد سنة (685هـ/1285م) و والده يحاصر المرقب، و تولى الحكم 3 مرات ، الأولى بعد فصل أخيه الأشرف و الثانية بعد مقتل لاجين و المرة الثالثة، و ظل بالحكم حتى توفي (1341م) ،و كانت مدة حكمه 32 سنة.ينظر المقريزي : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج3، ط1، تحـ محمد رسنهم و مديحه شرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص 417.

دينار ذهبا، و أصله من قفجق، و للملك الناصر رحمه الله، سيرة كريمة و كفاه شرفا انتهاؤه لخدمة الحرمين الشريفين، وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج من الجمال ، التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي في الدربين المصري والشامي".[1]

وقد تكلم عليه البلوي عند دخول الناصر للقاهرة في قوله "و خلد فيها العز والتمكين للسلطان الناصر الدنيا والدين، أبو المعالي محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي قسيم الملك أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان من الخلفاء العباسيين فاستمرت سلطته الآن مدة من خمسين سنة فجاءت الدنيا في أيامه غضة، وزهرة الأيام بهجة، كما منح الله على يديه من الأمن والسكون والدعة وظلال المسرة والهدنة فانسحب ذيل العز، وانضرب رواق الأمن، وانسدل ستر العافية على الملأ والكافة والأقطار النازحة والغربية"[2].

ويشير ابن بطوطة إلى أن هذا السلطان، قد حكم مصر للمرة الثانية ودامت فترة حكمه تقريبا عشر سنوات وأن فترة حكمه للمرة الثانية أطول من الأولى ، وبعد مقتل لاجين سنة (698هـ/1298م) اتفق الأمراء على توليه مقاليد السلطة بشرط أن لا يقرر أمرا من الأمور المختصة بشؤون الدولة إلا بموافقة الأمراء عليه . [3]

[1] -ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 191-192.
[2] -البلوي : المصدر السابق، ج1، ص 216.
[3] -المقريزي: السلوك، ج2، ص307.

وعلى أن يكون الأمير طغجي نائبا له ، [1] إلا أن الأمير كرجي [2] اعترض على ما اتفق عليه الأمراء. واقترح عليهم نائبه ، مما أدى إلى الانقسام المماليك من مؤيد ومعارض لطغجي سلطانا وأن يكون هو نائبه.[3]

ويذكر أنه خرج الأمراء ومن بينهم كرجي و طغجي ، للقاء الأمير سيف الذين بكتاش أمير السلاح، واتفق مع الأمراء على قتلهم ، وعند خروجهم قتلوهم وبعدها عاد السلطان الناصر إلى الحكم في مصر بعد رجوعه من حصن الكرك، وتم تعيين سلار المنصوري نائبا له من طرف سيف الدين، والأمير بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار.[4] إلا أن الأميرين ضيفوا على السلطان الناصر ولم يسمحوا له بالتصرف في أمواله ، وانقصوا له من المرتب المخصص له، ومن ملامح تنافسهم السياسي و استئثارهم بالنفوذ والسلطة، عدم استقرار أوضاع البلاد ،وقد نتج عنه خلاف بين طوائف المماليك، وقد أدت هذه الخلافات إلى ازدياد غارات العربان وفسادهم و ذلك لإنشغال السلطان ومن معه بحرب المغول ، وسيطر العربان على الوضع مما أدى بالأمراء إلى التصدي لهم وقتلهم على يد الأمير بيبرس وبكتاش .[5]

وهنا حاول السلطان الناصر (707هـ/1307) التخلص من الأميرين، فاستدعى الأمير بكتمر الجوكندار إلا أنه لم يفلح في ذلك لان الأمراء كشفوا نية السلطان عن طريق جواسيسهم المنتشيرين في القلعة، وهنا قرر السلطان التخلي عن الحكم والتوجه إلى الحجاز

[1] - الأمير طغجي عبد الله الأشرفي، نائب السلطة بالديار المصرية و هو من الذين شاركوا في مقتل حسام الدين لاجين، فقتل بعده بأربعة أيام سنة 1298م، ينظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج1، تح فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، بيروت، د.ت، ص 365.

[2] - هو كرجي بن عبد الله، كان احد أمراء الديار المصرية، و كان على رأس البرجية و هو الذي قتل السلطان حسام الدين لاجين ثم قتل بعده بيوم سنة (1289م) ينظر ابن تغري بردي الدليل الشافي، ج2، ص 556

[3] سرور محمد جمال الدين : دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية و الاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص40.

[4] النويري شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب : نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج31 ، ط1 ، تح . مفيد قمحية وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص 236.

[5] المقريزي تقي الدين أحمد بن علي : السلوك ، ج2 ، ص 346

لأداء فريضة الحج. وسار إلى الكرك سنة (1308/708) واستقر فيها، و أمر نائبها جمال الدين الاقوش بالسير إلى مصر وإخبارهم بذلك[1] .

وعقد الامراء إجتماع لاختيار السلطان فوقع اختيارهم على بيبرس.[2] ولقب بلقب المظفر وفي رحلة ابن بطوطة نجد يشير إلى أن السلطان الناصر قضي على الأميرين بيبرس و سلار فالأمير الأول قبض عليه و أمر بقتله. وأما بيبرس فسجنه ومنع عنه الماء و الأكل حتى مات جوعا.[3] هذا بعد عودة السلطان الناصر إلى الحكم ومساعدة أمراء الشام له لاستعادة عرشه، حيث حاول السلطان المظفر بيبرس أن يحمي عرشه بطلب الإعانة من الخليفة العباسي المستكفي بالله ، إلا أن العامة في مصر رفضت الحكم لسلطان بيبرس وطالبت بعودة الناصر للحكم وبعد عودته تمكن من تسيير شؤون دولته بنفسه ، وبدأ بالثار لنفسه و لأخوه الاشرف مما أدى إلى فرار وهروب الأمير قراسنقر إلى المغول، وذلك لمشاركته في القتل حسب ما أورده ابن بطوطة،[4] وحسب ما وردته في المصادر أن قراسنقر استنجد بأمير العرب مهنا بن عيسى ، وساعده هذا الأخير وذهب به إلى ملك العراق محمد خدا بنده. وقد أكرم مثواه وأعطاه مدينة مراغة عراق العجم.

وبعد وفاة السلطان محمد ملك العراق تولى ابنه أبو سعيد، وهنا وقعت المراسلة بينه و بين السلطان الناصر على أن يرسل قراسنقر مقابل دمرطاش الجوبان كبير أمراء أبو سعيد ، وعندما عرف قراسنقر بذلك قتل نفسه بالسم ومات لحينه [5] ويتضح لنا أن أسباب هروب الأمير قراسنقر بعد عودة الناصر إلى الحكم، هو الخوف من الانتقام وذلك لان السلطان الناصر عمل على الانتقام من الأمراء الذين سلبوه السلطة، والذين شاركوا في مقتل أخيه الاشرف، كما يعود السبب أيضا للتخلص منهم و يخلوا له الجو ليدير شؤون دولته.

---

[1] ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ص 246.

[2] ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2005 ، ص 105.

[3] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ، ص 111

[4]- نفسه، ص179

[5] -سرور محمد جمال الدين : مرجع سابق، ص49-50

ولتعميق الموضوع عدت الى كتب مشرقية لكشف النقاب عن المسكوت عنه في المصادر، و هو أن الملك ظل في أسرة السلطان قلاوون مدة أربعين سنة، توارث بعده أولاده مدة عشرين سنة، و لم يضع الناصر قبل وفاته نظاما لوراثة العرش يسير عليه أبناؤه.[1] مما أدى إلى اضطرابات داخلية كان لها الأثر الأسوأ على مكانة الدولة المملوكية و هيبتها. و قد تجرأ الصليبيين في قبرص غزو الإسكندرية سنة (767هـ/ 1365م) و لم يكن غزوهم عن طريق الصدفة بل هناك عوامل مساعدتهم لتحقيق هدفهم.[2]

[1] -دعكور عرب : مرجع سابق، ص389

[2] -المقريزي : السلوك ، ج3، ص 105-106 ; عرب دعكور : مرجع سابق، ص 389-390

المبحث الثاني : المظاهر الاجتماعية و الثقافية

أما الحياة الاجتماعية لمصر فلم تشر كتب الرحلة والمصادر الجغرافية إلى ذلك رغم مرورهم بمصر إلا أنهم لم يقدموا شيئا عن الحياة الاجتماعية وربما مرده ذلك يعود إلى عدم مكوثهم طويلا بها.

وحسب ابن خلدون فقد قام بتقسيم المجتمع المصري إلى سلطان و رعية في قوله "فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان"[1] و من خلال مقولته يتضح لنا أن السلطان هم المماليك والرعية هم الشعب، والمماليك هم الطبقة العسكرية استأثروا بالحكم و شؤون البلاد، وتمتعت بالجزء الأكبر من ثروات البلاد وخيراتها، ويذكر أنهم ليسوا من أصل واحد، وهذا ما ذكره ابن بطوطة عن السلطان المنصور قلاوون السابق الذكر بأنه ألفي و ذلك لأنه افتراء الملك الصالح لألف دينار ذهب [2]. والملك كتبغا من أصل المغول و غيرهم من الأجناس[3].

و يتضح حسب بعض المراجع التي نقلت عن المصادر الجغرافية أن الرعية هم سكان البلاد و الذين انقسموا إلى فئتين رجال الدين والتجار وقد كانت لهم مكانة مرموقة في البلاد. فرجال الدين أو العلماء لقوا احتراما كبيرا من قبل سلاطين المماليك حيث كانوا يقومون بتكريمهم وتقديرهم.[4] وقد تحدث عنهم ابن بطوطة وعن مكانتهم التي وصلوا إليها

[1] -ابن خلدون: المقدمة، ص153.
[2] -ابن بطوطة: مصدر سابق، ص176-177.
[3]- سرور محمد جمال الدين : مرجع سابق، ص36.
[4] -حسن زكي محمد : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى نقلا عن ابن بطوطة،دار الرائد العربي،بيروت،1981 ،ص181.

زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون منهم. العالم شمس الدين الحريري [1] الذي قال فيه السلطان : "إني لا أخاف من احد إلا من شمس الدين الحريري" .

كما نجد العالم فتح الدين بن سيد[2] الذي دخل على السلطان حسام الدين لاجين. وجاء ليجلس عن الأرض فلم يدعه يجلس ، وكان يقول له أهل العلم منزهون عن هذا وأجلسه بجوار. [3] مما يعطي الدليل على مكانة العلماء عند السلاطين المماليك، إلى جانب فئة العلماء نجد فئة التجار التي حظيت بنفس الاهتمام الذي حظي به العلماء. بما كانوا يحصلون من تجاراتهم الواسعة الأمر الذي مكنهممن العيش الرغيد وهو ما شجع سلاطين الدولة على تقريبهم من البلاط ومنحهم مناصب هامة في هرم السلطة، للاستفادة من أموالهم لإعداد الجيوش. [4]

وحسب شهادة ابن بطوطة الذي تكلم عن حرص والي الإسكندرية على سلامة التجار وخاصة تجار الإفرنج وهذا ما يدل على تجار المسلمين لم يحظوا بنفس مكانة تجار الإفرنج وذلك لأنهم مصدر دخل عظيم للدولة [5] والى جانب هذه الفئة يشير القلصادي إلى فئة المهمشين، وهم العوام وأهل الباعة والسوقة والحرافيش[6] و يصفهم القلصادي ت

[1] شمس الدين الحريري هو محمد بن صفي الدين عثمان بن زكي الدين ابي الحسن بن عبد الوهاب الانصاري الحنفي المعروف بالحريري ولد سنة (653هـ/1253م) سمع الحديث، و درس في اماكن كثيرة بدمشق تولى القضاء بدمشق و مصر توفي (728هـ/1328م).ينظر النويري : نهاية الحرب، ج33، ص 196-197

[2] -فتح الدين بن سيد هو أبو الفتح محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله الأندلسي الاشبيلي المصري، سمع من الكثير من العلماء و أجازوا له الرواية عنهم عنده من العلوم كثير كعلم الحديث و الفقه، توفي (734هـ/1334م)
ينظر ابن عماد أبي الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ط2، دار السيرة، بيروت، 1979، ص276.

[3] -ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ط2، ج8، ص 108.

[4] -ابن خلدون : العبر، ج4، ص163.

[5] -حسين مؤنس : مرجع سابق، ص39.

[6] -الحرافيش طائفة كبيرة من أهل الصلابة و جاه وهم يقعدون على أبواب المساجد و يشحذون من الصليبيين و هم فئة العوام التي تكلم عنهم القلصادي ينظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص176.

(891هـ/1470) في رحلته بقوله :"فهم عدد لا يعده الحصر"[1]، و قد تكلم العبدري عن عددهم وكثرتهم في قوله : "و حسبها شر انها جرين لحثالة العباد وفعاء نفاية البلاد، ومستقر لكل من يسعى في الأرض بالفساد من أصناف أهل الشقاق والعناد والإلحاد، استولى الحسد على قلوبهم، واستوي الغش في جيوبهم، فنار الحسد مضطرمة في الجوانح و سهم الغش ممزوج في عسل النصائح"[2]

كما عرفت المملكة المصرية طائفة أخرى متمثلة في أهل الذمة و الذي يقصد بهم النصارى واليهود وقد كانت لهم الحرية المطلقة في كل الأمور، و وكلت إليهم الكثير من الوظائف.[3] وقد عمل بعضهم على إثارة الفتن و المناوشات، مما ألزمهم على أن يلبسوا زي خاص بهم و حل عليهم الذل و الهوان[4].و يذكر أن الملك الناصر نادى في مصر بأنه من لم يلتزم بهذه الشروط من النصارى أو اليهود يقتل.

وعلى الرغم مما واجههم من الذلة والمهانة . إلا أن الكثير منهم تمكن من جمع ثروة عظيمة في عهد هذا السلطان الناصر، وهذا ما اعترض عليه العلماء والفقهاء و الزموا الملك الناصر محمد بن قلاوون على ان يميز النصارى بلبس العمائم الزرق واليهود بالعمائم الصفر[5]

كما لم تقتصر مهنهم على الطب و الخراج فقط ، بل تعلموا الكتابة في الدواوين واشتهروا كذلك بصناعة النسيج والزيوت وعرفت لهم مطابخ للسكر .إلى جانب ذلك كان لهم

[1] -القلصادي أبي الحسن : رحلة القلصادي، تحـ محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص126.
[2] -العبدري : مصدر سابق، ص93.
[3] -أهل الذمة : هم الذين يشملهم الإسلام من النصارى و اليهود بعهده و أمانه ثم أولئك الذين طبق عليهم المسلمون فيما بعد قواعد و نظام أهل الذمة، و كان الرسول صل الله عليه و سلم أول من طبق عليهم القواعد في الحجاز ثم على مجوس البحرين ينظر خماش نجدت : الشام في صدر الإسلام من بني أمية ، ط1، دار طلاش، دمشق، 1987، ص126.
[4]- المقريزي : السلوك، ج2، ص398.
[5] -سرور محمد : مرجع سابق، ص104.

أسواق خاصة بهم[1] .ويذكر بنيامين في رحلته أن عدد اليهود تناقص في مطلع الدولة الأيوبية و أواخر الفاطيمية، وهذا حسب الأرقام التي أوردها في رحلته، ويرجع السبب إلى الاضطهاد الذي تعرض له اليهود زمن الفاطميين مما دفع بهم إلى الهجرة [2] أما الدراسات التي تناولت التاريخ الفاطمي لم تذكر هاته الهجرات بل أشارت إلى مناصب اليهود وحرباتهم

1- عادات المجتمع المصري :

ترددت هاته العادات في رحلات المغاربة فقد وصفهم ابن بطوطة و البلوي و العبدري ... وغيرهم ، وقد تكلم البلوي عن العادات التي كانوا يقومون بها في قوله:"من الازدحام على هذا المشهد الكريم والأحداق به ، والانكباب عليه والتبرك به والتضرع لديه من كل امرئ هائل عظيم والأمر فيه كبير يفوت التقدير"[3] وحسب شهادة العبدري والذي قد وصف عاداتهم بالسيئة ومن المألوف عندهم الأكل في الأسواق والطرقات "[4] كما قد وصفهم بقلة الحياء في قوله " وقد رأيت فيهم من قلة الحياء، وعدم التنزه عن الخنا والفحش، ومن قلة التستر عند قضاء الحاجة و الأكل وما تقضيت منه العجب .." [5] كما قد وصفهم الغرناطي بالعبيد لمن غلب، أكيس الناس صفار، و اجلهم كبارا".[6]

[1] -الشامي يحي : مرجع سابق،ص205.
[2]- بنيامين بن يونة : رحلة بنيامين التنطبلي ، ط1،تق عبد الرحمان عبد اللب الشيخ ، مجمع الثقافي، ابوظبي،2001،ص74.
[3] -البلوي: مصدر سابق.ج1،ص221 ، 222 .
[4] -العبدري: مصدر سابق،ص128، 129.
[5] -كردي على إبراهيم : مرجع سابق ،ص128
[6] -الغرناطي أبو حامد محمد : رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخلة الإعجاب ورحلة إلى أوربا واسيا ،ط1،تق قاسم وهب ، دار السويد ابوظبي، دار الفارس، الأردن ،2003 ، ص55.

2-الألبسة و الأطعمة :

أما بالنسبة لما يخص الملبس و المأكل فلم يشير الرحالة إلى هذا الجانب لا من قريب ولا من بعيد ، وربما مرد ذلك عدم مكوثهم طويلا بها . فنجد ابن بطوطة عندما تحدث عن علمائها وصف عمامة قاضيها عماد الدين الكندي [1] في قوله:" كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم ، لم أرى في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ، إذا رأيته يوما قاعدا في صدر المحراب، وقد كانت عمامته تملأ المحراب"[2] الى جانب ابن بطوطة نجد ابن عابد الفاسي الذي وصف شيخه محمد البكري إمام الإسكندرية في وقته في قوله : "(... حيثما قابلته دخلتني هيبة الملوك لأنه في زي الملوك)"[3] من خلال هذا يتضح أن للعلماء ملابس خاصة بهم تميزهم عن غيرهم.

وقد تكلمت بعض المصادر المشرقية عن ملابس أهل الذمة و بأنهم فُرضت عليهم ملابس خاصة، وذلك لتمييز بينهم وبين المسلمين حسب الشروط الذي وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه [4] المتمثلة في العمائم فاليهود عليهم ارتداء عمائم صفراء والنصارى عمائم زرق، كما فرض على نسائهم وضع علامة لهم إضافة إلى ذلك منعوا ركوب الخيل والبغال ومن يعترض على ذلك يسفك دمه .[5]

[1] -عماد الدين الكندي : إمام من ايمة علم اللسان ، وهو قاضي الإسكندرية ، فاضل من أهل العلم ، من الرجال الذين لقاهم ابن بطوطة عند نزوله مصر، كانت له أضخم عمامة وقد وصفها وتحدث عنها في رحلته ينظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص185 .

[2] -حسين مؤنس : مرجع سابق، ص37 – 38.

[3] -محمد البكري: احد شيوخ المتصوفة في تاريخ مصر ذاع صيته فزاره العديد من المغاربة لأخذ العلم منه والتبرك به ، ومن عاداته الحج كل سنة وزيارة قبر شيخه احمد البدوي ينظر الفاسي الشريف يوسف بن عابد بن محمد: رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب الى الأندلس ،ط1،تحـ إبراهيم السامرائي، دار الغرب ، الإسلامي ، بيروت ، 1993 ، ص91، 92.

[4] -المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص91

[5] -سرور محمد : مرجع سابق ، ص 106 ، 107 .

2 – المأكل والمشرب :

يذكر ابن بطوطة مدينة دمياط وما تشتهر به من أطعمة في قوله : "والطير البحري بهذه المدينة كثير متناهي السمن ، وبها الألبان الجاموسية التي لا مثل لها في عذوبة الطعم وطيب المذاق ، وبها الحوت البوري يحمل منها الى الشام والروم ومصر "[1] .

كما تكلم بعض الرحالة عن الأكل بمصر، وأطلقوا عليه المائدة السلطانية ، وذلك لاحتوائها على كل أنواع الأكل و أطلق عليها أيضا غرائب الأطعمة .[2] ويذكر انهم يشربون شراب العنب وهو شراب غال ، اما العامة فيشربون ما يسمى بالمزر وهو شراب ابيض اللون منتوج من القمح[3]

3– الاحتفالات والمناسبات :

وقد كان للبلاد المصرية احتفالات عدة ذكرها الرحالة المغاربة منها احتفالات بالأعياد الدينية وكذا رؤية الهلال في رمضان فقد تحدث عنها ابن بطوطة في قوله : "ولقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي، حضرت عنده يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان ، وعاداتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجهائها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي، (..) وكل من معه أجمعين "[4]

وعند ثبوت الهلال يوقد أهل الحوانيت الشموع بحوانيتهم وتزدهر الأسواق والطرقات والمساجد بالأنوار. مما يجعل ليلهم نهار طيلة شهر رمضان ،ومن أشهر أسواقهم ، سوق

[1] -ابن بطوطة : مصدر سابق ص198.
[2] -فهيم حسين محمد : مرجع سابق ، ص133 ، 134.
[3] -كردي علي إبراهيم : مرجع سابق ، ص58.
[4] -ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص224.

الحلاويين لصناعة الحلوى وذلك لكثرة استهلاكهم لها في هذا الشهر الفضيل .[1] كما وصف عادة السلاطين المماليك بمصر في رمضان واهتمامهم بالصدقات و الإحسان للفقراء وذلك بذبحهم البقر وتوزيعها طوال شهر رمضان على أهل الجوامع و الخوانق.[2]

أما احتفالهم بعيد الفطر فقد تحدث عنها العبدري في قوله :"وكان وصولنا إلى هذه المدينة في أخريات رمضان فأتممنا الشهر بها وصلينا معهم صلاة العيد وهم يصلون في المساجد وبعضهم في ساحة تحت قلعة وسط البلد ولا يبرزون لها كما وردت به السنة"،[3]

ولم يكن للمصرين غير هذه الاحتفالات. بل كانوا يحتفلون ببداية السنة الهجرية ، ويوم عاشوراء ، والمولد النبوي كما كان لهم احتفال يوم المحمل والذي تكلم عنه ابن بطوطة في قوله :" وهو يوم دوران المحمل ، يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه انه يركب قضاة القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب ، ويركب معهم أعلام الفقهاء ، و أمناء الرؤساء ، و أرباب الدولة ويقصدون جميعا باب القلعة : دار الملك الناصر فيخرج إليهم المحمل على جمل وأمامه الأمير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة معه عسكره (..) ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ، ثم يطوفون حول المحمل ... ".[4]

أما عن الحياة الفكرية فقد أشادت المصادر لمظاهر الرقي والازدهار في عصر الأيوبيين وذلك لكثرة المدارس التي قام بإنشائها وكذا المساجد، والزوايا ، و الخوانق التي لعبت دورا كبيرا في تعليم الناس و تثقفيهم.

[1]- المقريزي : الخطط ،ج2 ، ص112.
[2] -المقريزي : السلوك ،ج5 . ص446.
[3] -العبدري : مصدر سابق، ص128 .
[4] -ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص221.

أولا المساجد :

حسب ما أشار إليه الرحالة المغاربة ان المساجد كانت متوفرة بكثرة في مصر منها ، جامع عمر بن العاص وقد ذكره ابن رشيد عندما التقى بالعالم شرف الدين في جامع عمرو بن العاص و أجازه فيه كما يذكر انه عند وصوله الى مصر نزل به ووجد فيه حلقات القرآن وبعضها للعلم [1]، وقد أشار ابن بطوطة الى هذا المسجد في قوله : "ومسجد عمرو بن العاص ، مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر، تقام فيه الجمعة ، والطريق يعترضه من شرق إلى غرب ".[2]

أما مسجد ابن طولون .[3] بناه احمد بن طولون وكان سبب بناء ابن طولون للجامع سودانه ، فأمر بعمارة الجامع على جبل يشكر ، وجعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه. [4] وقدمت كتب الرحلة وصفا دقيقا للمسجد الأزهر وذلك في قول ابن بطوطة :"ومنهم قوام الدين الكرماني وكان سكناه على سطح الجامع الأزهر ، وله جماعة من الفقهاء والقراء يلازمونه ويدرسون فنون العلم ، ويفتى في المذاهب "[5] وقد ذكر ابن عابد الفاسي عن شيخه محمد بن الحسن البكري سابق الذكر وتعلقه بالمسجد وهو زاهد متصوف .[6] ويذكر المقريزي انه في عهد السلطان بيبرس سنة (665هـ/1266م) أعبدت الخطبة فيه ، و أقيمت فيه صلاة الجمعة .[7]

[1] -ابن رشيد : المصدر السابق، ص
[2] -ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 203
[3] -يقع جامع ابن طولون في موضع يعرف بجبل يشكر ، وابتدأ بناء الجامع الأمير احمد بن طولون سنة (879/2063) وانتهى من بنائه سنة (879/266) ينظر المقريزي : الخطط ، ج4 ، ص40.
[4] -ابن جبير : مصدر سابق ، ص26.
[5] -ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص198.
[6] -ابن عابد الفاسي : مصدر سابق ، ص94
[7] -المقريزي : خطط ، ج4 ،ص55

أما بالنسبة للعبدري فقد تكلم عن نظافتهم وعيب عليهم في ذلك ،إلا أنه اغفل ولم يشر ولم يتكلم عن دورهم في التعليم [1].

أما بالنسبة للزوايا والأربطة فتحدث عنهم الرحالة ابن بطوطة في قوله : "و أما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق ، واحدتها خانقة و الأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا ، وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء، و أكثرهم الأعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف ، ولكل زاوية شيخ وحارس ، وترتيب أمورهم عجيب "[2].

ويذكر أن السلاطين المماليك اهتموا بالصوفية و أحوالهم في الخوانق والربط ، وهذا ما يدل على أن سلاطين مصر شجعوا الزوايا و الرباطات ، وكانوا يستجيبوا لمطالبهم ويوفروا لهم الأرزاق والأمان... وغيرها [3]. ويذكر العديد من الرباطات منها رباط السدرة ، وُقفت سنة أربعمائة [4] و أما المدارس فقد عرفت انتشارا كبير على قول ابن بطوطة "و أما المدارس بمصر فلا يحيط احد بحصرها لكثرتها "[5] ، وقد تحدث ابن الصباح في رحلته عن مدارس مصر وخص بالذكر القاهرة وكثرة المدارس والجوامع بها [6] ومن المدارس المشهورة :

مدرسة الصالحية النجمية : التي تنسب للسلطان الصالح نجم الدين أيوب سابق الذكر ، وتم بناؤها في القاهرة . وهي أول مدرسة في مصر[7] وكما حدثنا ابن رُشيد في رحلته انه التقى بالعالم تقي الدين بن دقيق في المدرسة الصالحية .[8]

[1] -العبدري : مصدر سابق ، ص127، 128 .
[2] -ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص204 .
[3] -دعكور عرب : مرجع سابق ، ص481.
[4] -الفاسي : العقد الثمين ، ج1. ص118 .
[5] -ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص203
[6] -ابن الصباح الاندلسي : مجلة دراسات اندلسية ، العدد 45، 46 ، تونس 2012 ، ص 86.
[7] -المقريزي : الخطط ، ج2 ، ص217
[8] -ابن رشيد : مصدر سابق ، ج5، ص245

المدرسة الظاهرية : فقد ذكرها كل من ابن رُشيد و العبدري وهي تنسب إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري شرع في بنائها سنة (661 هـ/ 1262م) وبعد بناؤها احتفل بافتتاحها احتفالا كبيرا . ونزل السلطان و أمراءه بالمدرسة و قاما بالاحتفال ويذكر ابن رُشيد أنه قرأ على شيخ هذه المدرسة سنة (684هـ/1285م) .[1] ويرد العبدري في رحلته عن المدرسة الظاهرية في قوله "ولم أرى بهذه المدينة على كثرة الخلق بها.أمثل وأقرب إلى الإنسانية ، و أجمل معاملة من الشيخ الفقيه المحدث الرواية المسن المفتى الثقة ، الضابط شرف الدين ذي الكنيتين أبو محمد و أبو أحمد عبد المؤمن بن خلف أبي الحسن الدمياطي المحدث بالمدرسة الظاهرية "[2] .

المدرسة الكاملية : قام ببناءها السلطان الكامل [3]سنة (622هـ/1225) ويذكر العبدري هذه المدرسة في قوله : "صاحب المدرسة الكاملية "[4] وذلك عند حديثه عن العالم تقي الدين محمد بن علي صاحب المدرسة

وأما **المدرسة الصلاحية :** فتنسب إلى السلطان صلاح الدين سابق الذكر وذكرها الرحالة البلوي في قوله : "و بإزاء هذا المسجد العظيم مدرسة مختلفة الصنعة سامية المنية ". ووصفها بقوله "أعظم المدارس اتساعا ، و أعلاها وارتفاعا . فيها من المنازل الرفيعة والرواتب الموقفة ، والمياه الجارية ، وما يقر بالعين ويملأ اليد باليمين ويريك ذوائب الذهب في شبابيك اللجين "[5]

[1] -ابن رشيد : مصدر نفسه ، ج5 ، ص374.
[2] -العبدري : مصدر سابق ، ص132 ، 133 .
[3] -الكامل محمد بن العادل : ولد سنة (576هـ/1180) حكم مصر أربعين سنة منذ أيام والده ، كان عاقلا مهيبا ، كبير القدر، كان محب للعلم وأهله ، وانشأ في القاهرة دار الحديث ، حارب الفرنجة في دمياط وانتصر عليهم ، توفي سنة (635هـ/1237م) ،ينظر ابن عماد : شذرات الذهب ، ص129.
[4]- العبدري : مصدر سابق ، ص138.
[5] البلوي : مصدر سابق ، ج1 ، 225 ، 226.

المدرسة الناصرية : ابتدأها السلطان العادل كتبغا، و أكملها السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند حكمه للمرة الثانية (703هـ/ 1303م) وعندما انتهى من بنائها قسمها حسب المذاهب الأربعة .

وقد ذكرها الرحالة البلوي عند لقياه بشيخه في قوله :"لقيته بالمدرسة الناصرية من القاهرة المعزية فسمعت فوائد من لفظه وقيدت شوارد من حفظه ".[1] ومن خلال دراستنا لكتب رحالة المغاربة تبين لنا أن رحلتهم كانت رحلة دينية، وغلب عليها الطابع العلمي ودليل ذلك لقياهم بالكثير من العلماء وقد ذكروهم في رحلاتهم أمثال العالم :

ابن دقيق العيد : يذكره ابن رشيد في قوله هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين الملقب بابن دقيق العيد ،التقى به في المدرسة الصالحية وأجازه أكثر من مرة ، في كتابه الاقتراح في بيان الاصطلاح [2] كما التقى به العبدري ووصفه في قوله : "له تفنن في فنون العلوم ، وتسلط عليها بذهن يرد المجهول إلى المعلوم ، وقل ما يلقى له في سعة المعارف نظير أو يوجد من يماثله في صحة البحث والتنقير ، وله في البلاد ذكر شهير ، وصيت مستطير ، وخطر خطير ، يضرب في كل فن بسهم مصيب ، ويحظى منه بأوفر نصيب ولقي جماعة من الأقلام فاخذ عنهم وحصل ، وما زال يوصل نفسه في المعارف حتى تأصل فهو الآن قطب مصر وعلمها "[3]

[1] البلوي : مصدر سابق ، ج1، ص236.
[2] ابن رشيد : مصدر سابق ، ج5،ص325 .
[3] -العبدري : مصدر سابق ، ص138، 139 .

علم الدين العراقي : ويذكره ابن رشيد وهو من لقاهم و أجازوه ، وهو أبو محمد عبد الكريم بن علي بن محمد الأنصاري الشافعي وقد وصفه ابن رشيد في قوله : "الإمام العلامة ، الحافظ البليغ المفسر "[1]

ابن حيان الجياني الغرناطي : هو أثير الدين أبو حيان محمد بن حيان الجياني. [2]عرفه ابن رشيد في القاهرة ووصفه في قوله "صاحبنا الأديب النحوي المتفنن المحدث "[3]والتقى به البلوي ووصفه ثم قرأ عليه بعض القرآن الكريم في قوله :"قرأت عليه بعض القرآن العظيم بالقراءات السبع بقراءة الإمام أبي عمر والداني .."[4].

الشريف شرف الدين الكركي : هو شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى من اصل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعرف بالشريف الكركي يذكر ابن رشيد بأنه التقاه بالمدرسة الطيبرسية وهي مدرسة بالأزهر من إنشاء علاء الدين طيبرس الخاتندار ، كان يدرس بها الشافعية ولقد أجازه بجميع رواياته [5]

[1] -ابن رشيد : مصدر سابق ، ج5، ص335 .
[2] -أثير الدين ابن حيان الأندلسي : ولد سنة (654هـ/1256م) من غرناطة ، تلقى العلم على أيدي علماء الأندلس واخذ الحديث من مصر والحجاز وافريقية ، وبلغ عدد شيوخه 500مائة عالم ، تولى تدريس التفسير بالمنصورية ، له مؤلفات عديدة في التفسير والقراءات والنحو توفي سنة (745هـ/1344م) ينظر ابن عماد ابي الفلاح عبد الحي : مصدر سابق ،ج6، ص324، 326 .
[3] -ابن رشيد: مصدر سابق ،ج5،ص373 – 379.
[4] -البلوي : مصدر سابق ، ج1، ص228 .
[5] -ابن رشيد : مصدر سابق ، ج5، 343 .

المبحث الثالث : الأحوال الاقتصادية لمصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة

أولا : الزراعة

تعتبر الزراعة مصدر من مصادر الاقتصاد في مصر وهذا ما ذكره الرحالة المغاربة في يومياتهم . ويقدم لنا البلوي وصفا دقيقا في قوله : "فخرجنا من الإسكندرية في يوم الثلاثاء ثامن يوم من رجب المذكور، وسرنا في بسيط من الأرض عريض مراده لا يخترقه النسيم بمسراة ، ويكاد البصر يقف عند مداه ، بين مدائن عليها نظرة النعيم وبساتين اعتمارها من التعميم ، و سرحات مونقة ، و دوحات مورقة ونخلات طلع ، وخامات زرع تموج بدائعها موج البحر ، وتلوح طلائعها بين كتائب الزهر من لم يرى أرض مصر في أوان ربيعها و إبان زرعها ، ولم يرى منظرا نظيرا"[1] من خلال وصف البلوي يتضح لنا أن مصر كانت غنية بالبساتين والنخيل ما يؤكد أنها أرض زراعية.

وتشير المصادر التاريخية أن مصر من الأقاليم الكبرى المعروفة بالزراعة وذلك لتوفر المياه [2] و بالأخص مدينة الإسكندرية التي تعد من المدن الكبرى وذلك لتوفرها على معامل لتكوير النفط ومصانع غزل ونسيج .[3]

كما اشتهرت مصر بزراعة قصب السكر ، في بعض المناطق منها ملوى وغيرها وزراعة الأزهار وخاصة القاهرة التي تكلم عنها ابن سعيد المغربي .

[1] -البلوي : المصدر السابق ، ج1 ، ص215 .
[2] -مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول عبد الحميد ، الكويت ، 1985 ، ص45
[3] -العفيفي عبد الحكيم : مرجع سابق ، ص48 .

ويصف ابن بطوطة مدينة فوه وما تتمتع به من البساتين ،وهي مدينة على شاطئ النيل من نواحي مصر. كما وصف مدينة القاهرة بزراعة الفواكه كالرمان والموز وغيره .[1] وتنوعت الزراعات بمصر كزراعة النرجس، والليمون، والبطيخ و بها سائر أنواع السكر[2] . وعرفت بزراعة العنب والتين بكميات قليلة وذلك لارتفاع سعرهما [3] زد إلى ذلك أنواع البقول كالثوم والبصل وغيرها . واشتهرت بأنواع الحبوب كالشعير والذرة والحمص و البازلاء [4]

وعرفت مدينة بوش [5] زراعة الكتان ويذكر ابن بطوطة في قوله:"ثم سرت الى مدينة بوش وهذه المدينة أكثر مصر كتانا"[6]

ثانيا : التجارة

عرفت مصر تجارة مزدهرة خاصة في عهد المماليك فقد بلغت أوج الازدهار وأصبحت مركز التبادل التجاري . فيتحدث عنها ابن بطوطة بأنها مزدهرة ازدهارا كبيرا ويذكر تجارة الرمان التي كانت تحمل من اشمون إلى الفسطاط [7] واشتهرت كذلك بتجارات أخرى تصدر من القاهرة إلى بلاد الشام منها تجارة الأنطاع الذي هو عبارة عن نوع من أنواع البسط المصنوع من الجلد ، واشتهرت مدينة دمياط [8]بزراعة فاكهة الموز والتجارة بها

[1] -ابن بطوطة : مصدر سابق ،ص185.
[2] - القزويني : مصدر سابق ، ص30.31 .
[3] -سرور محمد : المرجع السابق ، ص283.
[4] -ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص187.
[5] -بوش : مدينة بمصر بعيدة عن الشاطئ اشتهرت بزراعة الكتاب . ينظر الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، ج2، دار صادر ، بيروت ، ص400
[6] -ابن بطوطة : مصدر سابق ص187
[7] -فسطاط : مدينة من المدن مصر العتيقة والكبير تقع على خليج من خلج النيل اشتهرت ببيع ينظر ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص189
[8] -دمياط : مدينة مصرية عريقة على الضفة الشرقية لنهر النيل ، اشتهرت بتجارة الأرز والقطن والحرير وبفضلها تمكنت مصر الدفاع عن نفسها من أطماع الطامعين ، وقد شهدت تحصينات كبرى من حولها وتعرضت لحملات صليبية ثم ازدهرت بعد تدميرها ازدهارا عظيما . ينظر ، العفيفي عبد الحكيم : مرجع سابق ،ص 237 .

إلى الفسطاط وتتمثل تجارتها في الحوت البوري الذي يحمل منها إلى الشام والروم .كما قد وصف لنا البلوي القاهرة وصفا دقيقا يبين تجاراتها في قوله: "واحصي دكاكين السقائين المعدة للسقي بالقاهرة فبلغت ستين ألف دكان ماعدا السقائين الذين بالاكواز والأكواب في الطريق والأسواق وغيرها"[1]

ثالثا : الصناعات

ازدهرت الصناعة بمصر في عهد سلاطين أسرة بني قلاوون (687هـ/1290) بفضل اهتمامهم بالعمل على ترقيتها وحرصهم على سد حاجه الشعب منها . وكان مما سهل عليهم مهنتهم نبوغ كثير من المصريين في مختلق الصناعات .وقد ظفرت مصر بمراكز صناعية هامة في صناعة المنسوجات والقطن، وأنواع أخرى اشتهرت بها الإسكندرية كصناعة العطور والصابون . وقد تكلم ابن بطوطة عن الثياب والتي اشتهرت بصناعتها مدن الصعيد في قوله : " بأنها ثياب حسان ، تعلو قيمتها بالشام والعراق ومصر "[2] و اشتهرت مدينة شطا بالثياب الشطوية و اشتهرت مدينة دمياط بصناعة الأقمشة الحريرية، كما عرفت أيضا صناعة الغزل و النسيج ، و صناعة استخراج الزيوت النباتية من السمسم و القطن [3]

كما تحدث المقريزي عن صناعة السكر واهتمام المصريين بهذه الصناعة و يذكر بان في مدينة بني سويف [4] العديد من المعاصر لعصر السكر.[5]

[1] البلوي : المصدر السابق ، ص 217
[2]-ابن بطوطة : مصدر سابق، ص195.
[3] -سرور محمد : مرجع سابق، ص 294.
[4]- بني سويف : مدينة مصرية، و هي تجارية، زراعية، صناعية، تزرع القطن و تستخرج السكر و تعيده ينظر العفيفي عبد الحكيم : مرجع سابق، ص125.
[5] -المقريزي : الخطط، ج1، ص 376.

وقد تحدث البلوي عن المصانع الموجودة في القاهرة عند زيارته لها بقوله : "و فتحت لي راحة القلب أبواب النزهة، فأطلقت عنان الطرق نحو الجهة فرأيت فيها المصانع الناصعة[1] وهذا ما يوضح كثرة المصانع و تنوعها و في سياق الحديث عن الصناعات، اشتهرت مصر بصناعة المعادن و النحاس و استخدموا هذه الأخيرة لصناعة الأواني والثريات والأواني المنزلية."[2]

كما اشتهرت مدينة منفلوط.[3] بصناعة النيدا وهي عبارة عن حلوى تصنع من القمح واشتهرت بها القاهرة أيضا، وقد شبهها ابن بطوطة بالعسل الذي يباع بالأسواق.[4]

رابعا : الضرائب

عرفت مصر منذ القدم نظام الضرائب التي كانت قد وضعته السلطة على كل من يجتاز الحدود، وقد عاصر الرحالة المغاربة هذا النظام، و فرضت عليهم المكوس و قد وصفهم ابن جبير في قوله : " و هم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها ، وينتهبونهم انتهابا، و يسببون لاستجلابهم ما بأيديهم استجلابا، فالحاج معهم لا يزال في غرامه ومؤنة إلى أن ييسر الله رجوعه إلى وطنه، ولو لا ما تلاقى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا

[1] -البلوي : مصدر سابق، ج1، ص 216.
[2] -سرور محمد : مرجع سابق، ص308.
[3] -منفلوط : مدينة مصرية عريقة من مدن غرب نهر النيل أنشأت فيها المدارس الإسلامية و اشتهرت بصناعة النيدة ينظر العفيفي عبد الحكيم : مرجع سابق، ص471؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان، دار المصادر، بيروت، ص113.
[4] -ابن بطوطة : مصدر سابق، ص 197-198.

ينادى وليده ولا يلين شديده، فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج و جعل عوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلها إلى مكثر أمير مكة"[1]

وقد تحدث ابن جبير عن كيفية تفتيشهم و استغلالهم للحاج و بأنهم يعتقدون فيه مالا يعتقدون في أهل الذمة.[2]

ويرد العبدري أن ابن جبير قد سبق بالشكوى السلطان صلاح الدين الأيوبي ، و قد عمل هذا الأخير كل ما بوسعه حتى لا يضيقوا على الحاج و أمرهم بان الحاج في ضمانته إلى أن يعود إلى وطنه.[3] و قد تكلم عنهم العبدري و وصفهم بقلة الحياء و عدم التنزه وحسب ما ذكر انه لم يرى بالمغرب والأندلس مثلما رأى في مصر من سوء أخلاقهم.[4]

[1] -ابن جبير : مصدر سابق، ص76.
[2] -حسني محمد حسين : ادب الرحلة عند العرب نقلا عن ابن جبير ، ط2، دار الاندلس، بيروت، 1983، ص20.
[3] -العبدري : مرجع سابق، ص93-95.
[4] -كردي علي ابراهيم : مرجع سابق، ص 131.

الفصل الثالث :

بلاد الشام في نظر الرحالة المغاربة.

المبحث الاول :الحياة السياسية لبلاد الشام في عهد المماليك

المبحث الثاني :المظاهر الاجتماعية والثقافية للشام.

المبحث الثالث :الاحوال الاقتصادية للشام.

أجمعت مصادر الرحلة على الإشادة لما وصلت إليه بلاد الشام و حسب ذلك ما قاله ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله في قوله : "أربع مدائن في الدنيا من الجنة : مكة المكرمة ، المدينة، بيت المقدس، ودمشق. وأربع من مدائن النار في الدنيا رومية ، قسطنطينية، وصنعاء ، وانطاكية"[1] بلاد الشام من البلاد العريقة ويقال أنها سميت شاما لأنها شأمة للكعبة، و قالوا سميت حمر وسود[2] ويذكر ان معناها التطيب وقيل أنها سميت شاماً لأنها عن شمال الكعبة[3].

وهي مملكة كبيرة و أموالها كثيرة و هي ارض مقدسة لما حوته من مساجد وقبور الأنبياء [4] وهذه البلاد العظيمة عرفت أحوالا منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

[1] -الألباني محمد ناصر الدين : تخريج أحاديث فضائل الشام و دمشق، ط1، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض، 2000، ص36 ، ولقد حكم بوضعه وإبطاله .
[2] -الظاهري غرس الدين خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1988، ص41
[3] -ضيف شرقي : الرحلات نقلا عن ابن جبير، ط4، دار المعارف، القاهرة، ص86.
[4] -دعكور عرب : مرجع سابق , ص169.

المبحث الاول: الحياة السياسية لبلاد الشام لعهد المماليك

تشير مصادر الرحلة بعد وفاة الملك الصالح (ذكرناه سابقا) سنة (577 هـ/ 1183) توجه صلاح الدين من القاهرة إلى بلاد الشام وذلك لحصار مدينة حلب ، وهي مدينة كبيرة نزهة وعامرة كثيرة السكان .[1] وقد تكلم عن هذه الأحداث الرحالة ابن جبير، وذلك لأنه في الوقت الذي زار فيه بلاد الشام كانت الحرب قائمة على قدم وساق بين صلاح الدين والصلبين،[2] مما اضطره إلى رفع الحصار عن حلب ومهاجمته للصليبين. لصدهم وطردهم من هذه البلاد. [3] ومع تحالفه مع الأمراء وإصراره على فتحها. استطاع طردهم وتحقيق التحالف وتوحيد البلاد الإسلامية من الفرات إلى النيل .[4]

كما تكلم ابن جبير عن فضل هذا السلطان في إبطاله المكوس التي كانت مفروضة على الحجاج، وكذا عمل على توفير الأمن و الأمان لهم في قول ابن جبير : "ولولا ما تلاقى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ، ولا يلين شديده فإنه رفع ضرائب عن الحاج، وجعل عوض ذلك مالا و إطعاما "[5].

ومن خلال هذا تبين انه أبطل المكوس ووفر الأمن و الأمان للحاج حتى يعود إلى وطنه لأنه كان بحاجة للمغاربة للاستعانة بهم في حروبه ضد الصليبيين وهذا من منطلق

[1] -مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ,ط1, تح يوسف الهادي , دار ثقافية النشر , القاهرة ,1999, ص129.
[2] -ضيف شوقي : مرجع سابق , ص88
[3] -حسين محمد حسين : مرجع سابق , ص19.
[4] -دعكور عرب : مرجع سابق , ص160
[5] -ابن جبير : مصدر سابق , ص69

تجربتهم في ركوب البحر وقد أشارت المصادر التاريخية بالحضور القوي للمغاربة في الدفاع عن مختلف حواضر المشرق ولاسيما منها بلاد الشام.[1]

كما قام صلاح الدين باسترجاع بيت المقدس بعد سقوطها في أيدي الصليبين ، وقد قام بمعركة كبيرة عُرفت بمعركة حطين سنة (583هـ/1184)[2] ويذكر أنها بقيت في أيدي النصارى تسعين عاما ثم استرجعها المسلمون.[3]وبالرغم من أن ابن جبير قام برحلتين بعد رحلته الأولى وقام بزيارتها ، وصارت ضمن دول العالم الإسلامي ، وهذا دليل على انتصار صلاح الدين على الصليبين إلا أنه لم يذكرها ولم يتحدث لنا عنها [4]. وقد قام هذا السلطان بعدة فتوحات وعدة أعمال خيرية دينية جعلت كل من عاصره يدعوا له في الغيب على قول ابن جبير أنهم عندما بدأ خطيب مكة بالدعاء للخليفة العباسي و لأمير مكة ولصلاح الدين وعند ذكر هذا الأخير بدأ الحجاج بالتأمين. [5]ولعل من انجازاته المهمة فتح مملكة تدعى الكركية وهي معقل من معاقل الإسلام، بها قلعة ليس لها نظير في الإسلام ولا في الكفر. تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط. بل فتحها بعد ما فتح بيت القدس. [6]

أما بالنسبة للرحالة المغاربة الآخرين ومن خلال المصنفات الحديثة والدراسات نجد منهم من عاصر دولة المماليك التي قامت بعد سقوط الأيوبية التي عاصرها ابن جبير ،

[1] - حسن محمد وكي : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى نقلا عن ابن جبير , دار الرائد العربي , بيروت , 1981, ص77.

[2]- ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان ابن علي : فضائل القدس , ط2 , تح جبرائيل سليمان جبور, دار الأفاق الجديدة , بيروت , 1980, ص12

[3]- الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عثمان : الأمصار ذوات الآثار, ط1, تح عبد القادر المنفلوطي، دار ابن كثير , بيروت 1985 ص22

[4]- حسني محمد حسن : مرجع سابق, ص20.

[5]- ابن جبير: مصدر سابق , ص16.

[6]- غرس الدين خليل بن شاهين : مصدر سابق , ص43.

ومن هؤلاء الرحالة ابن رُشيد و العبدري فقد عاصر السلطان المنصور قلاوون سابق الذكر، وقد أشرنا فيما سبق عن حديث العبدري عن حصاره لمدينة عكا .

أما الرحالة ابن بطوطة فقد عاصر زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد وصفه بأن عصره أمن وآمان وهدوء ويرجع هذا الأمر إلى السلطان. ويذكر أن الدولة المملوكية بلغت أوجها وساد نواحيها الرخاء وذلك لان السلطان عرف كيف يضبط أمور جلاده [1]

[1] حسين مؤنس : مرجع سابق , ص61

المبحث الثاني : المظاهر الاجتماعية و الثقافية

عرفت الأوضاع الاجتماعية في بلاد الشام أجناسا عدة من مدينة حماة التي يسكنها قوم اليمن و مدينة حمص التي يقطنها أيضا قوم في بطون اليمن .[1] و يذكر ابن رشيد السبتي (721هـ/1321م) في رحلته أن أهل الشام و بالأخص دمشق من أعظم الأهالي، لما عرفوا به من علم ودين وثقافة .[2]

كما اهتم ابن جبير برصد بعض المظاهر الاجتماعية ويتجلى ذلك من خلال تحدثه عن طباع الناس، وأخلاقهم وعاداتهم ومظاهر احتفالهم في المناسبات الدينية وحفلات الزواج ، و قد اخبرنا أن أهل دمشق يتبركون بالحجاج لدرجة أن النساء كن يقدمن الخبز إلى الحجاج، فإذا ما قصفه الحاج اختطفنه وأكلنه تبركا بأكل الحاج [3] .

وقد أشار ابن بطوطة لفضائل أهل الشام، والتي تمثلت في أنه لا يفطر احد معهم ليالي رمضان وحده، فمن كان غنيا فانه يدعوا أصحابه الفقراء. أما الفقراء فأنهم يجتمعون كل ليلة في دار احد منهم، أو في مسجد ويأتي كل أحد بما عنده فيفطرون جميعا[4] ولعل من حسنات أعمال البر التي قدمها أهل الشام تمثلت في تجهيز البنات لأزواجهن وكذا الفكاك الأسرى[5].

[1] اليعقوبي احمد : البلدان ، مدينة ليدن المحروسة، المسيحية، 1890، ص111
[2] حدادي أحمد : رحلة ابن رشيد السبتي نقلا عن ابن جبير، ج1، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003، ص36
[3] النساج سيد حامد : منشور كتب الرحلة قديما و حديثا، الناشر مكتبة غريب، ص30
[4] -زكي محمد حسن : مرجع سابق، ص144
[5] -حسين مؤنس : مرجع سابق، ص55

وقد تكلم ابن بطوطة عن تنافسهم في عمارة المساجد و الزوايا و المدارس ، كما يذكر في قوله أنهم يحسنون الظن بالمغاربة ويطمئنون إليهم بالأموال والآهلين والأولاد[1] ومن عادات بلاد الشام كل سنة أول الربيع يذهبون للعبة الشلاق، و هي أنهم يخرجون إلى ظاهر المدينة ، وهم فرقتان تتقاتلان أشد القتال حتى تنهزم إحدى الفرقتين فيقع القتل والكسر والجرح ثم يعودون مرة أخرى[2].

وبالعودة إلى ابن بطوطة الذي عنى بالكلام عن أهل دمشق و معاملتهم لمواطنوا المغاربة من كرم الوفادة، فأشار إلى أن أهلها يحسنون الظن بالمغاربة ،و يعهدون إليهم في شتى الأعمال ، فلا يحتاج غريب إلى بذل جهد في السؤال و كل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد أن يأتي له وجه المعاش[3]، و يضيف في وصفه ابن جبير مظاهر احتفالية هي أن أهل دمشق يقفون يوم عرفة اثر صلاة العصر في الجوامع كاشفي رؤوسهم، داعين ربهم التماسا لبركة هذه الساعة إلى أن يسقط قرص الشمس، فينصرفون بالحين[4].

وقد كانت في عاداتهم التبرك بمشهد عظيم في قلعة كانت ربوة يأوي إليها إبراهيم الخليل عليه السلام بغنيمات يجلبها هناك و يتصدق بلبنها[5] و يذكر القزويني أن أهل حمص معروفون بالجمال المفرط، أما عن الانتماء المذهبي لهؤلاء فيؤكد انهم شيعة النصيرية [6] وأصلحهم الأمامية السببية، و يذكر انهم كانوا اشد الناس على علي كرم الله وجهه[7].

[1] -ابن بطوطة : مصدر سابق، ص331
[2] -القزويني زكرياء بن محمد بن محمود: مصدر سابق، ص184
[3] -زكي محمد حسن : مرجع سابق، ص144
[4] النساج سيد حامد : مرجع سابق، ص30
[5] الحميري محمد بن عبد المنعم : مصدر سابق، ص197
[6] مذهب النصيرية
[7] القزويني : مصدر سابق، ص185

وفي بعض الدراسات يذكر انه هناك من ذم بلاد الشام في قوله : "الوبى هواؤه، الضيقة منازلة ، الحزنة أرضه المتصلة طواعينه الحفاة"[1] ويصفهم آخر بأنهم أتقياء ذو مروءة وجمال. وقد عرفت بلاد الشام فئة أخرى في أرضهم وهم أهل الذمة الذين شملهم الإسلام وطبق عليهم المسلمون فيما بعد قواعد و نظام، و يذكر أن الرسول صل الله عليه وسلم كان أول من طبق علميا قواعد نظام أهل الذمة في الحجاز [2]، ومن خلال كتب الرحالة يتضح أنهم عاشوا بكل حرية و أمان كما مارسوا أنواع الوظائف.[3]

أما بالنسبة لمظاهر الحياة الثقافية فقد أشاد الرحالة المغاربة لما وصلت إليه معظم الحواضر المشرقية من ازدهار وتطور الحياة الفكرية و ذلك من خلال ما نقله ابن جبير عن جوامع دمشق وأبوابه وحيطانه وما عليها من نقوش[4] ، كما تحدث عنه ابن بطوطة عن جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية بني سنة (85هـ/688) من طرف الوليد بن عبد الملك.[5]

كما أسهب ابن بطوطة في وصف مسجدها الجامع وصفا دقيقا و تحدث عن حلقات التدريس فيه والمعلمين ويستند كل واحد منهم إلى السارية من سواري المسجد يلقى الصبيان ويدرسهم[6] ويذكر انهم ذكروا الجامع وبعض معالمه وأبوابه وصوامعه وعلمائه ويكفي دمشق فخرا أنها تضم الجامع الأموي وهو جامع المحاسن الكامل الغرائب المعدود في العجائب.[7] و يصفه اليعقوبي في قوله ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام و الذهب [8]،

[1] البرشوي محمد بن علي : أوضع المسالك إلى معرفة البلدان و الممالك، تح المهدي عبد الرواضية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص414
[2] خماش نجدت : مرجع سابق، ص127
[3] الحميري محمد بن عبد المنعم : مصدر سابق، ص197
[4] ضيف شوقي : مرجع سابق، ص87
[5] ابن بطوطة : مصدر سابق، ص306-314
[6] حسن زكي محمد : مرجع سابق، ص143
[7] حداد احمد : مرجع سابق، ص36
[8] اليعقوبي : مصدر سابق، ص 113

كما نذكر مسجد الأقدام وهو بدمشق أيضا بين الحجاز و مصر ، لبيت المقدس و هو مسجد عظيم كثير البركة، يعظمه أهل الشام تعظيما شديدا، و له أوقاف كثيرة.[1]

ويقدم لنا ابن بطوطة معلومات قيمة حول بيت المقدس و فلسطين و بالأخص المسجد المقدس ، الذي ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى :" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير"[2] فهو من المساجد العجيبة الرائعة، الفائقة الحسن ، يقال انه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه [3] .

وقد ذكر بأنه مسجد ليس في الإسلام أكبر منه[4] ، و يرتبط هذا المسجد بقصة الإسراء والمعراج وعليه قبة كبيرة يطلق عليه الصخرة المباركة ، وأن في وسطها ثقب مستديرة، يذكر أن النبي صل الله عليه و سلم قد عرج منه إلى السماء في رحلة الإسراء و المعراج.[5] ويصفها ابن بطوطة بأنها من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا، وهي قائمة في وسط يصعد إليها في درج رخام و لها أربعة أبواب [6] أما بالنسبة للمدارس فيذكر أنها بحلب لم تكن سوى أربع أو خمس مدارس .[7]

[1] ابن بطوطة : مصدر سابق، ص325
[2] سورة الإسراء : الآية 01
[3] ابن بطوطة :/ مصدر سابق، ص246
[4] الاصطخري ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي : مسالك الممالك، مدينة ليدن المحروسة، 1927، ص59
[5] العفيفي عبد الحكيم : مرجع سابق، ص367
[6] ابن بطوطة : مصدر سابق، ص247
[7] الحميري محمد بن عبد المنعم : مصدر سابق، ص197

أما ابن بطوطة فيذكر بدمشق أكثرها شافعية وأعظمها العادلية وتقابلها الظاهرية مدفون بها الملك الظاهر، وبها نواب القاضي ، وللمالكية بدمشق ثلاث مدارس إحداها الصمصامية، والنويرية، عمرها السلطان نور الدين محمود ابن زنكي [1]

[1] ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 318-319

المبحث الثالث : الأحوال الاقتصادية

يستفاد مما جاء في تقرير الرحالة والجغرافيين المغاربة ان بلاد الشام إقليم عظيم الخيرات، جسيم البركات ذو بساتين وجنات وروضات ومنتزهات وفواكه رخيصة ولحوم كثيرة[1] و يذكر ابن بطوطة أن مدينة القدس أكثر بلاد الشام زيتونا وزيتها يحمل إلى مصر ودمشق[2] وقد وصف ابن جبير (614هـ/ 1217م) مدينة دمشق بأنها جنة المشرق وذلك لما فيها من بساتين و خيرات زراعية [3] و للتعمق في هذا الموضوع عدت إلى مصادر مشرقية تناولت دمشق تصفها بقاعدة الشام وجنة الأرض وذلك لكثرة مزروعاتها وفواكهها[4] وأنها أزلية عظمى ذات نعم وزروع من القمح والشعير ، والفواكه حتى تبلغ النخلة الواحدة عندهم عشرة أصواع. وهي كثيرة الألبان والمواشي، وكثيرة الخيرات، طيبة الهواء صحيحة التربة ولقد خص الله تعالى هذه المدينة بالبركة، حيث يزرع في أرضها القطن والسمسم والبطيخ والخيار و الكرم و المشمش والتفاح والتين يسقى بماء المطر.[5]

ويذكر ابن جبير رغم مظاهر الصراع و كثرة الصدامات العسكرية بين المسلمين وبين النصارى إلا أن الحياة الاقتصادية وبالأخص التجارية لم تتأثر بها وذلك في قوله : " ومن أعجب به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما التقى الجمعان ويقع المصاف بينهم ، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم"[6] .

[1] ابن الوردي سراج الدين : فريدة العجائب و فريدة الغرائب، ط1، تح أنور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص97

[2] حسين مؤنس : مرجع سابق، ص49

[3] ضيف شوقي : مرجع سابق، ص 86

[4] القزويني : مصدر سابق، ص180

[5] الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : كتاب الجغرافية، تح محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد، ص71

[6] الكردي علي إبراهيم : مرجع سابق ، ص 21

ويذكر قصة حصار السلطان صلاح الدين لحصن الكرك إلا أن العلاقة التجارية لم تتأثر في قوله : " وطال حصاره واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق إلى مكة كذلك، و تجار النصارى أيضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض"[1]، كما اعتنى ابن بطوطة بالنواحي الاقتصادية في مشاهدته فيذكر أجل ما تختص به المدن التي يزورها من منتجات زراعية أو صناعية ولا تفوته الإشارة إلى الصناعات ، في قوله : " و يصنع بها أواني الخشب وملاعق لا نظير لها في البلاد"[2]،

ويذكرها ابن جبير في قوله :" وتجلت في حلل سندسية من البساتين" وهذا ما يتضح أنها كانت مدينة زراعية صناعية تجارية[3]، ويذكر أن بمدينة حلب أسواق قديمة وعامرة حوالي أربعين سنة لكثرة البضائع والسلع والصناعات والحرف[4]، ويذكر أنها زرع في أرضها الزعفران. [5] و تصنع الصابون و يذكر أن الغرب اتخذوا الصابون صنعا و إسما [6].

[1] أحمد رمضان أحمد : الرحلة و الرحالة المسلمون، دار البيان العربي، ص337
[2] حسن محمد زكي : مرجع سابق، ص144
[3] ضيف شوقي : مرجع سابق، ص87
[4] العفيفي عبد الحكيم : مرجع سابق، ص205
[5] اليعقوبي : مرجع سابق، ص111
[6] مؤنس حسين : مرجع سابق، ص52

خاتمة

خاتمة:

لكل بداية نهاية ونحن نصل إلى ختام هذا البحث وهذه الدراسة التي نرجو أن نكون قد وفقنا إلى حد قليل في التعرض لهذه الحواضر من خلال إعتمادنا على مجموعة من كتب الرحلة والجغرافيا فقد إهتم الرحالة المغاربة كثيرا بالمشرق من كل جوانبه سياسية إقتصادية وإجتماعية ودينية ،وقد تبدى ذلك من خلال ما دونوه في رحلاتهم إعتمادا على مشاهدتهم على الرغم من محدوديتها في ذلك العصر،والتي أمدتنا بمعلومات تاريخية قيمة عن الحجاز ومصر وبلاد الشام في أواخر الدولة الأيوبية ،وبدايات عصر المماليك ومن خلال ما قدم لنا عن الحجاز تبين لنا ضعف الحالة الدينية بالبلاد وذلك راجع إلى تعدد المذاهب وظهور البدع والخرافات ،والتركيبة السكانية ،مما أدى إلى ظهور عادات وتقاليد لكل أسرة من الأسر، وكذلك أشاروا إلى إحتفالاتهم بالشهور الهجرية ،ووصفوا ملابسهم ومشاربهم وغيرها،أما من الناحية السياسية فقد عرفت بلاد الحجاز إضطرابات سياسية بسبب الصراع الدائم والمتواصل بين الأمراء والأشراف على السلطة ،وقد نتج عن هذا الصراع انعدام الأمن والأمان وكذا سيطرة أمراء مكة داخل بلاد الحجاز وخارجها ،أما بالنسبة للجانب الاقتصادي فقد تطرقوا إلى ذكر مهارتهم ومعرفتهم بالمعاملات التجارية وأيضا ممارستهم للصناعة وإهتمامهم بالزراعة.

لم تكن كتابات المغاربة مقتصرة على الحجاز فقط بل إهتموا بكل البلدان التي زاروها ،وقاموا بنقل كل تفاصيلها إلينا فنجد أنهم ذكروا بلاد مصر على الرغم من زيارتهم لها إلا أنهم لم يقدموا الشرح الكافي والوصف الوافي لهذه البلاد ،وذلك يعود بالدرجة الأولى لهدف الرحلة ومقصدها لبلاد الحجاز فنجد إشارتهم للحياة السياسية كانت قليلة جدا على الرغم بأن في ذلك الوقت كانت هناك مجموعة من الأحداث سواء خارجية كمواجهة الصالح نجم الدين للصليبين أو داخلية كصراعات أمراء المماليك ،ومرد ذلك

عدم مكوث الرحالة في مصر طويلا ، كما قد أشار بعضهم للحياة الإجتماعية فوصفوا لنا طبقات المجتمع وعاداتهم ،وإحتفالاتهم وخروجهم إلى المتنزهات ، أما بالنسبة للحياة الإقتصادية فقد استطاع الرحالة أن يخبرونا بمعلومات عن المجتمع المصري وجميع ممارساته كالصناعة والزراعة والتجارة ،كما أنهم قد تحدثوا عن العلاقات التجارية التي عرفتها مصر خلال عصر المماليك مع الأوربيين ،وأهل الذمة وغيرهم ،وكذلك لم ينسوا ذكر الضرائب والمكوس التي فرضت عليهم وأخذت منهم بالقوة ، أما بالنسبة للحياة العلمية فقد إزدهرت إزدهارا كبيرا في مصر ،وذلك لإهتمام سلاطين المماليك بإنشاء المدارس ليس في المدن فقط بل في القرى أيضا ،كما أنهم إهتموا بشكل كبير بالزوايا وحلقات العلم والعلماء وكل هذا حسب تقارير ومشاهدات الرحالة المغاربة .

وقد دون العديد من المغاربة رحلتهم الى بلاد الشام وقاموا بوصف الحياة فيها ومن بينهم نجد إبن جبير وكذلك إبن بطوطة ، فقد قدموا معلومات قيمة عن كل الجوانب وفيما يخص الجانب السياسي نجد أن صلاح الدين الأيوبي قد إتجه إلى الشام بعد وفاة الملك الصالح وتميزت هذه الفترة بالصراع القائم بين صلاح الدين والصليبين الذين كانوا يحاولون السيطرة على بلاد الشام ، أما فيما يخص الحياة الإجتماعية والثقافية فقد نقلوا لنا طباع الناس وأخلاقهم ومظاهر إحتفالهم في المناسبات الدينية وكذلك التعاون فيما بينهم والكرم والجود بين السكان

أما الجانب الديني فقد كان هناك إهتمام بالغ بالمساجد من خلال الزخارف المعمارية الموجودة وأيضا حلقات التدريس ويكفي أن بلاد الشام تضم الجامع الأموي المشهور وكان هناك عدة مذاهب من بينها الشافعية ،والعادلية ، والظاهرية وغيرها من المذاهب الأخرى وكذلك مجموعة من المدارس كالنويرية .

عرفت الشام بأوضاع إقتصادية مرتاحة وذلك نظرا لكثرة الخيرات وهذا راجع لخصوبة الأراضي وتنوع المنتوجات من قمح وشعير وفواكه ....كما أنهم عرفوا بتربية المواشي ،وقد عرفت مدينة حلب بمدينة البركة لطيبة الهواء فيها، وفي الأخير قد إستطاع الرحالة المغاربة أن ينقلوا لنا ما شاهدوه في هذه البلدان من خلال كتاباتهم التي أثروا بها بلدانهم وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية بحثي أتمنى أن أكون قد وفقت ولو قليلا في دراستي لهذا الموضوع وآخر دعواي الحمد لله رب العالمين الذي ذلل لي الصعاب .

الملاحق

الملحق رقم 01 :

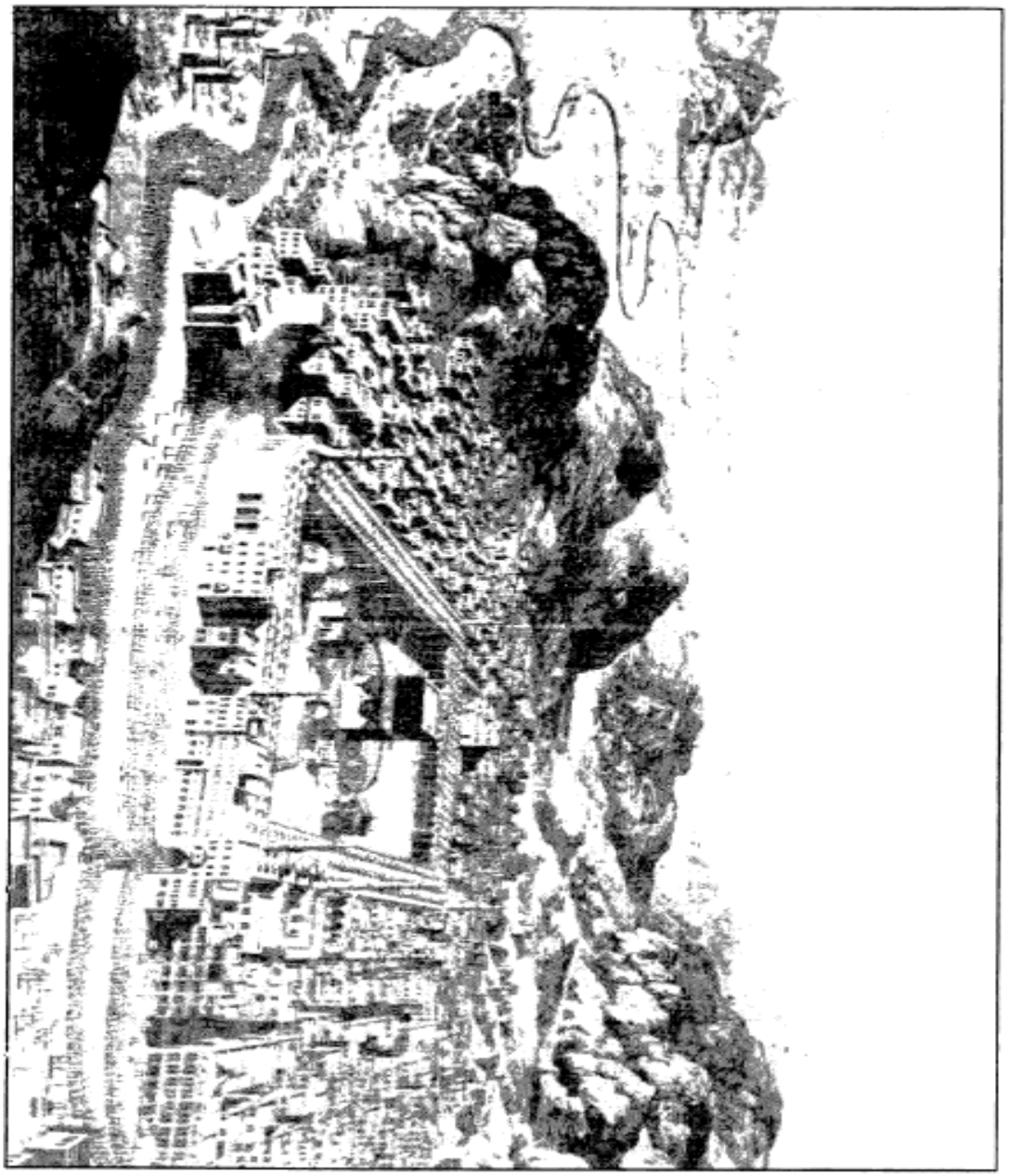

منظر عام للحرم الشريف بمكة المكرمة (1787م)

1 ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 369

الملحق رقم 02

جامع أحمد بن طولون، منظر عام خارجي من الجهة الغربية

الملحق رقم 03 :

الجامع الأزهر، منظر خارجي من الجهة الغربية

الملحق رقم 04 :

(الجامع_الأموي_(دمشق/https://ar.wikipedia.org/wiki

على الساعة 10.34 يوم 05/24/ 2018

(الجامع_الأموي_(دمشق/https://ar.wikipedia.org/wiki

على الساعة 10.34 يوم 05/24/ 2018

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

قائمة المصادر:

1. إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج1، ط1، مطبعة الكتب العصرية، القاهرة، 1925.
2. الاصطخري ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، مدينة ليدن المحروسة، 1927.
3. الألباني محمد ناصر الدين، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2000.
4. البرشوي محمد بن علي، أوضع المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تح المهدي عبد الرواضية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
5. البريشوي محمد بن علي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط1، تح المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.
6. ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مج1، تق وتح عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية،1997.
7. البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، تح الحسن السائح، مطبعة الفضالة، المغرب.
8. التيطلي بنيامين بن بونة، رحلة بنيامين التيطلي، ط1، تر عزرا حداد، تق عبد الرحمان عبد الله الشيخ، مجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.
9. ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت
10. ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان ابن علي، فضائل القدس , ط2, تح جبرائيل سليمان جبور, دار الأفاق الجديدة , بيروت , 1980.

11. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس، ط2 ،مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
12. ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2006.
13. ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر : وفيات الأعيان و أبناء الزمان، ج5، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت/ د.ت.
14. الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عثمان، الأمصار ذوات الآثار, ط1, تح عبد القادر المنفلوطي، دار ابن كثير , بيروت 1985.
15. الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عثمان، الأمصار ذوات الآثار، ط1، تح عبد القادر المنفلوطي، دار ابن كثير، بيروت، 1985.
16. ابن رشيد أبي عبد الله محمد بن عمر العبدري السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج5، ط1، تق. تح محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
17. الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تح محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
18. الظاهري غرس الدين خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1988.
19. العبدري محمد، البلنسي، الرحلة المغربية، ط2، تق سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007.
20. ابن عماد أبي الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ط2، دار السيرة، بيروت، 1979.

21. العياشي ابو سالم عبد الله بن محمد : الرحلة العياشية، مج1، ط1، تح سعيد الفاضلي، دار السويدي للنشر و التوزيع، ابوظبي، 2006.
22. الغرناطي أبو حامد محمد : رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخلة الإعجاب ورحلة إلى أوربا واسيا ,ط1,تق قاسم وهب , دار السويد ابوظبي, دار الفارس, الأردن ,2003.
23. الفاسي الشريف يوسف بن عابد بن محمد، رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى الأندلس، ط1، تح إبراهيم السامرائي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
24. الفاسي تقي الدين محمد بن احمد الحسني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (ج1، ج7)، ط2،، تح، محمد حامد الفيقي، تح، فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، 1986.
25. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البلدان، دار المصادر، بيروت.
26. القزويني زكرياء بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت
27. القلصادي أبي الحسن: رحلة القلصادي، تحـ محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978
28. المقريزي : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج3، ط1، تحـ محمد رسنهم و مديحه شرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.
29. المقريزي تقي الدين احمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ط1، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،
30. مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار, تح سعد زغلول عبد الحميد , الكويت , 1985.
31. مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ,ط1, تح يوسف الهادي, دار ثقافية النشر , القاهرة ,1999.

32. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج33، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
33. ابن الوردي سراج الدين، فريدة العجائب وفريدة الغرائب، ط1، تح أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.
34. اليعقوبي احمد، البلدان، مدينة ليدن المحروسة، المسيحية، 1890.
35. يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، ج8، ط2، دار الكتب الوثائق القويمة، القاهرة، 2005.

قائمة المراجع:

1. أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي.
2. حدادي أحمد، رحلة ابن رشيد السبتي نقلا عن ابن جبير، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003.
3. حسن محمد زكي، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى نقلا عن ابن جبير, دار الرائد العربي, بيروت , 1981.
4. حسني محمد حسين : ادب الرحلة عند العرب، ط2، دار الاندلس، بيروت، 1983.
5. حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة.
6. خماش نجدت : الشام في صدر الإسلام من بني أمية ، ط1، دار طلاش، دمشق، 1987.
7. دعكور عرب،تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضاراتهم، منتدى صور الأزبكية، بيروت، 2010.
8. سرور محمد جمال الدين : دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
9. سعيد إبراهيم احمد، الحجاز في نظر الاندلسين والمغاربة، ط1، تح إبراهيم احمد سعيد، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2004.

10. ضيف شرقي، الرحلات نقلا عن ابن جبير، ط4، دار المعارف، القاهرة.
11. فهيم حسين محمد، أدب الرحلات نقلا عن ابن جبير، عالم المعرفة للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1989.
12. الكردي علي إبراهيم، أدب الرحل في المغرب والأندلس نقلا عن العبدري، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013.
13. النساج سيد حامد، منشور كتب الرحلة قديما وحديثا، الناشر مكتبة غريب.

قائمة المعاجم والموسوعات:

1. ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج1، تح فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، بيروت، د.ت، ص 365.
2. الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان , ج2, دار صادر, بيروت
3. العفيفي عبد الحكيم، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
4. يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.
5. يوسف ابن تغري بودي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج9، تح نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008،

قائمة المجلات:

1. ابن الصباح الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية, العدد 45, 46 , تونس 2012.

فهرس الأعلام :

أ	ب
أسد الدين 11 أم الخير بنت إبراهيم 12	ابن بطوطة 8 ،10 ،11 ،12 ،13 ،14 ،16 ،17 ،18 ،19 ،21 ،22 ، 27 ، 28 ، 30 ،32 ،33 ،35 ،36 ،37 ،38 ، 39 ، 40 ، 45 ، 46 ، 47 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 بيبرس 29 ، 30 ، 39 ، 41 البندقداري 41 البلوي 8 ، 10 ، 18 ، 20 ، 27 ،28 ، 35 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 46 ، 47
ج	**ح**
ابن جبير 6 ،7 ، 8، 9، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 47 ، 48 ، 50 ، 51 ، 52 ،54 ،55 ،56 ،58	ابن حيان الجياني الغرناطي 35 ، 43 الحسن بن علي 7، 9 ، 11
خ	**د**
ابن خلدون 7 ، 9 ، 10 ، 32 ، 33	ابن دقيق العبيد 42
ر	**س**
ابن رشيد 10 ، 11 ، 12 ، 15 ، 16 ، 18 ، 19 ، 20 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 53 ، 54 أبو الربع سليمان 28	سلار منصوري 27 ، 29 ، 43 سيف الدين 11 ، 25 ، 27 ، 29 ابن سعيد المغربي 25 ، 44 سيف الدين عطيفة 11
ش	**ص**
شريف الدين الكركري 36 ، 43	صلاح الدين الأيوبي 6

	صالح نجم الدين أيوب 25 ، 40
ض ابن أبي ضيف الشافعي 20 ضابط شرف الدين الدمياطي 41 ، 43	**ط** طغجي 29
ع علم الدين العراقي 43 عمر عبد المجيد الميانشي 20 العبدري 6 ، 7 ، 10 ، 11 ، 12 ،14 ، 20 ، 21 ، 22 ، 25 ، 26 ، 34 ، 35 ،38 ، 40 ، 41 ، 42 ، 48 ، 53 أبو عبد الله زيد عبد الرحمان 13 عادل كتبغا 27 ،42 العباس بن مجاهد 19 العياشي 27	**ف** الفاسي 6 ،7 ، 11 ، 19 ، 20 ، 39 ،40
ك كرجي 29 كبيش بن جماس 11	**ل** لاجين 27 ، 28 ، 29 ، 33
م المنصور قلاوون 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ،42 مكثر بن عيسى 6 ،7 ، 11 محمد بن جعفر 6 ، 7 المقريزي 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 31 ، 34 ، 36 ، 38 ، 39 ، 40 ، 46	**ن** ناصر أبو الفتح 27

فهرس الأماكن :

أ الاسكندرية 31 ، 33 ، 36 ، 44 ، 46 الأندلس 7 ، 14 ، 36 ، 43 ، 48 أنطاكيا 50	**ب** بوش 45 بني سويف 46 بيت المقدس 50 ، 57 بلاد النوبة 10
ت تهامة 9	**ج** جدة 9
ح الحجاز 6 ، 8 ،9 ،12 ، 15 ،18 ، 21 ، 22 ،29 ، 34 ، 38 ، 43 ، 56 ، 57 الحبشة 10 ، 22 حلب 25 ، 51 ، 57 ،59 حمص 54 ، 55 حماه 54	**خ** خليص
د ديلة 10 دمياط 37 ، 41 ، 45 دمشق 50 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59	**ر** الروم 37 ، 46
س سرات 6	**ش** الشام 50 ، 51 ، 52 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 شظا 46

ص	ع
صنعاء 50	العراق 30 ، 46 عيذاب 9 عسير 9 عكا 25 ، 26
ف	ق
فسطاط 45 ، 46 فلسطين 57	القاهرة 27 ، 40 ، 42 ،44 ،45 ، 46، 47 قفجق 28 قبرص 31
م	ن
مصر 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ،30 ، 34 ، 37 مكة 10 المدينة 9 ، 10 ، 22 منى 11 ، 13 ، 15 مراغة 36 منفلوط 42	نجدان 26 ، 31 نجد 25
هـ	ي
الهند 21	اليمن 51 ، 53

قائمة الموضوعات:

شكر وتقدير	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ –د
الفصل الاول :الحجاز من خلال كتابات الرحالة المغاربة.	**07-23**
المبحث الاول :الاحوال السياسية من خلال كتب الرحالة.	**07**
المبحث الثاني :الاحوال الاجتماعية والثقافية لبلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة.	**09**
المبحث الثالث: الاحوال الاقتصادية للحجاز.	**~~21~~**
الفصل الثاني : مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة	**25-48**
المبحث الاول :مظاهر الحياة السياسية لمصر من خلال كتب الرحالة	**25**
المبحث الثاني :الاحوال الاجتماعية والثقافية لمصر من خلال الرحالة المغاربة	**32**
المبحث الثالث: الأحوال الاقتصادية لمصر من كتابات الرحالة المغاربة	**44**
الفصل الثالث :بلاد الشام في نظر الرحالة المغاربة.	**50-59**
المبحث الاول :الحياة السياسية لبلاد الشام في عهد المماليك	**51**
المبحث الثاني :المظاهر الاجتماعية والثقافية لشام.	**54**
المبحث الثالث :الاحوال الاقتصادية للشام.	**58**
خاتمة	**61**
ملاحق	**65**
قائمة المصادر والمراجع	**70**
فهرس الأعلام	
فهرس الأماكن	
فهرس الموضوعات	

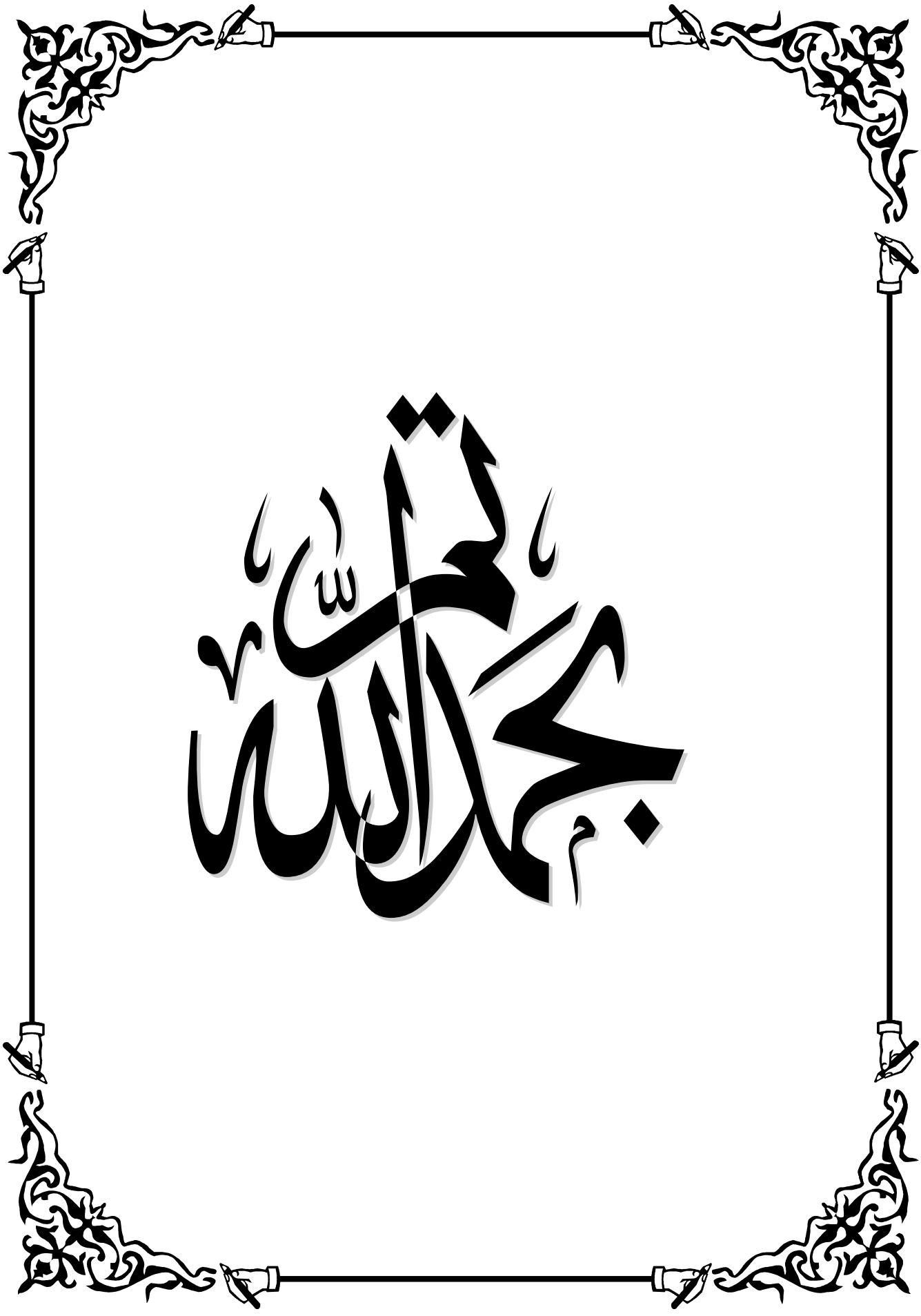
تم بحمد الله